4me Année, No. 136.
Lundi-10-2-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العــــدد ١٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــدد

على ذكر حوادث دمشق

تاريخ يثـــور . . .

على ضفاف الوادى ، وهضاب فلسطين ، ورياض سورية ، يثور تاريخ ، ويغضب مجد ، ويستغيث مظلوم . . . ! !

على الوطن الذى ورفت على نيله أول حضارة ، والبلد الذى هبط على طوره أول دين ، والقُطر الذى انبثقت من ساحله أول ثقافة ، تُمتحن الحرية بمن فرضوا على الملك أول دستور ، وتُمتهن العدالة بمن حملوا لله أول كتاب ، وتُبتلى الانسانية بمن أعلنوا للانسان أول حق . . . ! !

على هذه الأقطار الثلاثة التى شع منها السلام والاسلام والخير ، يستكلب الطمع ، ويشتجر الهوى ، وينفجر البغى ؛ فالمفاوضات وعيد ، والاحتجاجات حديد ، والمواعيد مراوغة ، كأنما عيّ المنطق من طول ما مارس العلم ! ومات الضمير من كثرة ما دارس الخُلق ! وزهق العدل من شدة ما زاول القانون ! !

فى القاهرة وأورشليم ودمشق ، شباب يحمىَ على لذع البنادق ، ودم يفور على مسّ الأسنة ، وأمل يشرق فى الوجوه الوضيئة ،

وطموحٌ يومض في العيون الرغيبة ، وماضٍ تميز في إبهام الدهر، يمثل في الأذهان الصافية ، ومجدٌ تأثّل في أربعة عشر قرناً يعصف بالنفوس الفتيّة ! فماذا تصنع مُدية اللص في قلب تدرّع بالايمان ؟ وماذا تبلغ سطوة الباطل من حق تسجّل في لوح الزمان ؟ !

* * *

يا لله ! ألم يأن لدعاة المدنية ... وحماة الحرية ... ورسل العلم .. أن يروضوا عقولهم على الحقيقة ، ويفتحوا عيونهم على الواقع ؟ ! إن هذا الشعب الذي تتحلب أفواههم قَرَماً لأكله ، لا يزال يعيش في ملك آبائه الفاتحين ، ولا يزال معاودَّ الحنايا على العزيمة التي قبض بها من قبل على زمام الدنيا ، وشارك في تصريف الأقدار ، وأملى إرادته على سجل الزمن ! إن حلمه لثقيل ، ولكن غضبته مفزعة ؛ وإن نومه لطويل ، ولكن يقظته مروِّعة ! إنه على اختلاف أقطاره لا يزال يحمل في نفسه سر (الجزيرة) التي يعيش فيها الجمل الوقور الصابر ، والأسد الهصور المتوثب !!

إن في كبد أوروبا جمرة من العرب منذ غزتها بالدين والمدنية والعلم سفائنُ طارق ! ولقد انطفأت البراكين ولما تنطفىء هذه الجمرة ! أجلت العرب عن أرضها بالبربرية الهوجاء والتعصب الحاقد والقسوة الجامحة ، ثم كتّبت الكتائب الحليفة وغزتهم في عقر بلادهم باسم الدين المظلوم في عهد (صلاح الدين) ، ثم بالعلم المسموم في عصر (عبد الحميد) ، ثم بالمدنية المغشوشة في عهد (عصبة الأمم) ! فما كان الدين والعلم والتمدن إلا ألفاظاً حُمّلت بالكره على معاني الثأر والاستعمار والغصب ! ثم أغروا بنا الجهالة والمجاعة والفوضى ، ومضوا في ظلال الأمن ، يمتصون من دمائنا الذهب ، ويتخذون من لحومنا القوت ، حاسبين أننا مخدَّرون بالأباطيل فلا نفيق ، مُثقلون بالتقاليد فلا ننهض ؛ ولكن المد يا غُلْفَ القلوب كريم ! وهذا الذي يعلوه غبار لا صدأ ! وها ذي سياسة الارهاب والاغتصاب تجلوه عن شباب عر كيف يموتون ، أكثر مما عرفوا كيف يعيشون ! ! وهاهم أولا يمشون على ما بلي من هياكل الشيوخ ، كما يمشي الرحو على ما جف من سفير الشجر ! ! إنهم يسرعون الخطى إلى الر الباسم والجو الطليق ، وفي أسماعهم المرهفة دويٌّ لا ينقطع الهتاف : « لقد فتح آباؤكم ثلاث قارات في ربع قرن ، أفتعجزو عن تحرير ثلاثة بلاد في نصف قرن ؟ ! »

* * *

إن شباب العرب مصريين وسوريين قد أخذوا موثقه من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة أو يموتوا كراماً ! فلا تتحدّ بالعذاب السفيه جنساً برمته وتاريخاً بأسره ، ولا تعبثوا بالمعا التي تعب فيها اللغويون والمجامع فتسموا النهب تنظيما والقت تعليما والغزو صداقة ! جربوا الصداقة بمعناها اللغوي الصحيح تَقرُوا المال والرجال والسمعة ، فإن هذا الشعب الذي وقعتم صفوه ، وتعبتم من غزوه ، ويئستم من خداعه ؛ كان له في السيا العالمية شأن ، وفي اللغة الدولية اصطلاح ، وفي قيادة الانسا محل ، ومن اصلاح المجتمع نصيب ! فهو يفهم الصداقة ، ويقد المعاونة ، ويكبر التضامن ، ويعقد صلاته بالناس على ضو شريعته وقرآنه !

إن سلام الشرق منوط بسلام العرب ؛ وإن السلا والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد ؛ وليس من معا السلام المهانة ، ولا من دلالات الاسلام الاستكانة ! إنما الحياة القائمة على الحرية والأخاء والمساواة ، وهي الأقانيم الثلا التي رسمتها الثورة على علَم المثلث !

بغير هذا لا يرضى العرب ! وبدون هذا لا يحيا العرب فراجعوا في سياستكم العقل السالم من الهوى ، والضمير الخالص من الرِّيبة ، وحكموا بينكم وبينهم مبادىء الناس ، فإنهم — تحسون وتلمسون — من الناس ! !

احمد حسن الزيات

في وقع المـــوت

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ضمني مجلس قال أحد من فيه — وقد ذكر بعضنا وفاة الملك جورج الخامس ، وقول الأطباء إنهم لم يشهدوا أعراض مرض معين ، وأن قواه كانت تهبط شيئاً فشيئاً — : « إن من الصعب على الانسان أن يواجه الموت وهو محتفظ بعقله » ، فقال آخر إن الذي يخفف عنــه في هذه الساعة أنه يستسلم للموت ولقضاء الله فيه ، فسألته : « هل معنى هذا أنه يقبل على الموت راضياً ويتلقاه مغتبطا ؟

فكان جوابه : « نعم . . . . يستسلم فيفقد الموت لذعه ورهبته » . . . ولست طبيباً ولا شبهه ، ولكني لا أرى هذا ولا أستطيع أن أقتنع به ؛ وعندي أن الانسان لا يزال إلى آخر عمره يثور على الموت ويجاهد أن يدفعه عنه ويقي نفسه منه ؛ ولكن جسمه يفقد الحيوية فتذهب معها الارادة — لا ارادة الحياة ، فانها لا تفارقه أبداً ، بل ارادة المقاومة والكفاح بعد استنزاف القوة ، ويظل المرء كارهاً للموت مشتهياً للحياة متعلقاً بها ، ولكنه يعرف من نفسه أنه لم يعد قادرا على المجاهدة ، ويخطئه العون اللازم من الجسم فيكون كالذي فقد في المعركة سلاحه ، أو فرغت ذخيرته والأعداء مطبقون عليــه ، فيوطن نفسه على الموت يأساً من النجاة

والمرء إنما يقاوم الموت بجسمه ، وقد يستطيع بقوة الارادة أن يطيل أمد المقاومة ؛ ولكن استمرار المقاومة معناه أن جسمه لا يزال محتفظاً ببقية من القوة مذخورة — بالغة ما بلغت من الضآلة — وبهذه البقية يستطيع أن يجعل لارادته أثراً ولمقاومته لعدوان الموت مظهراً ، فاذا زالت هذه البقية ونضب المعين ، لم يبق للارادة عمل ، لأن الأداة التي تعمل بها الارادة تكون قد فنيت وذهبت

ولا فرق هناك بين من يكافح الموت — في الأحوال العادية الطبيعية — وبين من يقاتل مع جيش . فكما أن الجندي يثبت ويصمد ويتسنى له أن يكر ويفر ، ويهاجم ويدافع ما بقي معه سلاحه وعدته ، حتى إذا فقد ذلك لم يبق له عمل ، كذلك يكون المرء حيال الموت الذي يدلف إليه ويدنو منه على الأيام ليثبت عليه آخر الأمر . وكل ما هنالك من الفرق أن الموت كامن فينا ، وأن أداته الضعف الذي يصيبنا ، والهرم الذي يدركنا ، والعجز الذي يستولي علينا في النهاية ، فهو ليس عدواً يهجم علينا ، بل حالة نصير إليها حينما تنفد الحيوية لسبب من الأسباب

وقد راقبت الموت أكثر من مرة ، وشهدت كثيرين وهم في سياقه ، ثم ماتوا بين يدي ، وكان الموت في هذه الحالات كلها على أثر نضوب الحيوية ونفاد القدرة على المقاومة . وكانت إحدى الميتات بسبب النزف ، فظل العقل حاضراً لا يغيب ولا تغيم سماؤه ، ولا يتعكر صفوه ؛ وكان الاحساس بدنو الأجل قوياً ، ولا شك أن الرغبة في الحياة كانت عظيمة ، والجزع من الفناء كان شديداً ، ولكن الجسم لم تكن له قوة تستخدمها الارادة ، فخرج النفس الأخير في سلام ومن غير أن يبدو للناظر أثر للصراع . وبأي شيء يكون الصراع ؟ ؟

وميتة أخرى شهدتها ، كان الصراع فيها كأعنف ما يمكن أن يكون ، لأن الجسم بوغت بعدوان المرض المنذر ، فتنبه فيه كل كامن من قوته ، وهبت إرادة الحياة تدفع هذه الغائلة ، وكان يخيل إلي وأنا أنظر ، كأن انساناً ألقي به في الماء وهو لا يعرف من السباحة إلا لفظها ، وكما يفعل المرء حين يلقي نفسه في الماء ويخشى عليها الغرق ، فتراه يضرب بيديه ورجليه بغير حساب أو تفكير ويهز رأسه هزاً عنيفاً ، وينفخ ويرغي ، كذلك كنت أرى أمي لما أصابتها الذبحة ؛ وسكنت الآلام بفضل العلاج يومين ، وبدأنا نستبشر ، ولكن النكسة جاءت ، أو لا أدري ماذا حدث ، فجعلت نوبات من الاختناق تعتريها ، وبينها في أول الأمر فترات طويلة جعلت تقصر شيئاً فشيئاً حتى صارت دقائق . وكانت أول الأمر تقاوم الاختناق بشدة ، وتعالج التنفس بجهد عنيف ، يظهر أثره في كل عضلة من عضلات الوجه والعنق ، وفي اضطراب الصدر وخفق القلب ، وفي دفع اليدين والرجلين ؛ وكان هي أن أقوى إرادة الحياة في نفسها وأن أمدها بما يكفي من الأمل والثقــة والشجاعة ، ولكن كرات الاختناق أوهت قوتها واستنفدت مجهودها ، ولم يفارقها الحرص على الحياة ، والنفور من الموت ، وإنما خذلتها قواها ؛ ولم يذهب عقلها ولا ضعف أو كل ، ولكن ما خير العقل وما غناؤه وحده ؟ ؟

وبأى شيء يشتد أزره ؟ فلما جاءت آخر النوبات كان كل ما وسع الجسم أن يكافح بهذه الفارة أن الشفة السفلى اختلجت مرة أو مرتين ، فهمد الجسم وكف القلب عن النبضان وانقطعت الأنفاس

وقد سقت هذه الأمثلة لأقول إن الانسان لا يستسلم ولا يزهد فى الحياة ، ولا تفتر رغبته فيها ، ولا يضعف كرهه للموت واستهواله للفناء ، ولكنه لا يجد مؤازراً من جسمه فييأس ؛ وليس هذا استسلاما وإنما هو إدراك لحقيقة بغيضة لا يبقى مفر من مواجهتها وتوطين النفس عليها ، والاذعان لها كرها وخليق بهذا أن يكون مؤلماً ، ولكن فترته أقصر من أن يكون الألم فيها قيمة أو حساب ، وعلى أن عجز الجسم عن المقاومة ، يذهب فى رأيى بالألم ، لأن الألم فيما أعرف نوع من الاستجابة لوقع الشيء أو الحالة ، ومتى فقد الجسم القدرة على الاستجابة للمؤثرات فانه يفقد أيضاً قدرته على الاحساس بالألم أو الحزن أو الجزع أو الفزع ، لأن شعوره بذلك يقتضى أن تكون هناك بقية من الحيوية ، ولو كانت هناك بقية ، لاستمرت المقاومة ولظلت رحى الكفاح بين الحياة والموت دائرة

فلست أوافق الذين يستهولون أن يكون المرء مدركا لمجيء الأجل ، لأن إدراك المرء لذلك ، معناه أنه يدرك أن جهده نفد ، وأن مَعين حيويته نضب وجف ، وهذا الادراك وحده وبمجرده ، رياضة سريعة للنفس على السكون الى المصير المحتوم ، لأنه إشاعة للموت فى الجسم قبل تجربة وقعه ، فكأن الانسان يوحى إلى نفسه الموت — بفضل هذا الادراك وبقوته — قبل أن ينزل به ، فاذا زاره القاه مستعدا له ، مهيأ لتلقيه ؛ والادراك تهيئٌ ، والتهيؤ ينفى الألم ويستل اللذع

ومن هنا كانت الشيخوخة — أى الضعف — والمرض الطويل أو المضنى ، بمثابة التدريب على الموت . وكل امرىء يقرن الشيخوخة أو المرض بالموت ، ولا يستغربه حين يحل بالهرم أو الذى خامره الداء ، ولكن موت الشاب يصدم النفس ويرجها ، لأن الشباب — وهو أوان الحيوية الزاخرة — لا يقترن فى الأذهان بفكرة الموت . أما الشيخ الهِمّ فان كل من يراه يجرى بخاطره أنه هامةُ يوم قريب ، وأخلق أن يكون الموت أقرب الى خاطره وأجرى بباله ، وأشد مثولا وأكثر حضوراً ، لأنه أحسّ بنفسه وأدق ادراكا لما خسر من قوته ، وعلما بما صار اليه من الوهن والفتور بالقياس الى ما كان عليه من المُنة والنشاط وا[...] والمرونة . ويألف المرء الضعف واليبس فيألف المصير الذى [...] نفسه ينحدر اليه بسرعة أو على مهل ، فيكون هذا كالرياضة على السكون الى المآل المحتوم ، وهذا هو معنى قولى الشيخوخة أو المرض تدريب على الموت

وهذه الرياضة النفسية — أو التدريب الذاتى — على الموت أ[...] وأوقع من كل ما يشاهده الانسان من عدوان الفناء على ا[...] فى مظاهرها المختلفة . وأحسب أن المرء حين يرى غيره يموت أو يسمع بذلك ، يستثنى نفسه من هذا المصير وإن كان على يـ[...] جازم من أنه حتم لا رادّ له ولا حيلة فيه ؛ ولعله فى ضمير الـ[...] يهنىء نفسه بالنجاة ويشكر الله على أن الموت لم يخطفه هو وعسى أن يكون الأمل المستمد من غريزة المحافظة على الذات [...] الذى يغريه بالتعلق بوهم الاستثناء المستحيل ، وهو على كل [...] يخفف وقع الخبر ، ويجعله محتملا ، ويذهب ببواعث الجزع [...] النفس قياساً على المشهود

ولكن قدرة المرء على مغالطة نفسه تضعف أمام دبيـ[...] الموت اليه على الأيام . ذلك شيء يحسه فى نفسه فلا سبيل [...] تجاهله والاغضاء عنه . وكيف يسعه أن يتجاهل اليبس الذى [...] أعضائه ، والتصلب الذى فى شرايينه ، والفتور الذى يجده والضعف الذى يعتريه حين يهم بأيسر الأشياء ، والعجز [...] احتمال ما كان يمر به فلا يعيره لفتة ، الى آخر ذلك ؟ وكل يو[...] يمضى به يزيده وهنا على وهن ، ويدنيه من القرار الذى يـ[...] نفسه هابطا اليه ، فلا يبقى سبيل الى مغالطة النفس . وكل [...] يقدر عليه أمله هو أن يرجو أن يُنسىء الله فى أجله ، على الرغـ[...] مما يكابد من ذلة الشيخوخة ومهانة الضعف والحاجة المتفاقمة إ[...] الاسناد . فهو مضطر أن يوطن نفسه على الموت ، وأن يقصـ[...] الأمل على طول المهلة ، وليس أجدى عليه ولا أفعل فى تخفيف وطأة الموت من هذه الرياضة البطيئة . ومن هنا كان موت الفجاءة مزعجاً لنفوس الأحياء ، لأن صدمته لما تجيء على غيـ[...] انتظار . والله أعلم ، فما جربَ الموت أحد وعاد الينا ليقول لـ[...] كيف كان وقعه — هذا طريق لا يحمل المسافر فيه « تذكرة [...] ذهاب وإياب » ، كما يقول ويندل هولمز

ابراهيم عبد القادر المازنى

الوزير ابن كلّس

واضع الحجر الأول في صرح الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سألني سائل كيف نشأت صفة الأزهر الجامعية ، ومن صاحب الفضل الأول في اسباغها عليه ؟ فرأيت أن أنتهز هذه الفرصة لأعرض في هذا الموضوع شيئاً من الشرح والتفصيل

ويجب أولا أن ننفي فكرة ذائعة ، هي أن الجامع الأزهر أنشيء ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، فليس ثمة في ظروف انشائه ما يدل على أنه أنشيء لمثل هذه الغاية ، وإنما أنشيء الجامع الأزهر ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة ، ومنبراً لدعوتها ، ورمزا لسيادتها الروحية . أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد كانت حدثاً عارضاً ترتب على فكرة الدعوة المذهبية الجديدة ؛ ففي صفر سنة ٣٦٥ هـ ، في أواخر عهد المعز لدين الله منشيء الأزهر ، ولنحو أربعة أعوام من انشائه ، جلس كبير القضاة علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة في جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس عقدت بالجامع الأزهر ؛ ثم توالت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك ؛ وكان بنو النعمان من أكابر علماء المغرب الذين اصطنعتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعاتها وألسنتها الروحية ، فلحقوا بها إلى مصر ، واستأثروا في ظلها برياسة القضاء زهاء نصف قرن ؛ وكانت الخلافة الفاطمية تعتمد في توطيد سلطانها بمصر على عصبيتها المغربية ، ثم على صحبها وخاصتها من الموالي الأجانب وجلهم من الصقالبة ؛ وكانت حلقات أولئك العلماء المغاربة بالأزهر حلقات دعاية روحية وسياسية ، تعقد في الغالب للأكابر والخاصة ، ولم تكن لها في البداية صفة الدرس العام

كانت هذه بداية جامعية في معنى من المعاني ، بيد أنها لم تكن عامة ولا مستقرة ؛ ولكن حدث في عهد العزيز بالله حدث جامعي آخر ؛ ففي رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس يعقوب بن كلّس وزير المعز لدين الله ، ثم وزير ولده العزيز من بعده بالجامع الأزهر ، وقرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي ؛ وكان ابن كلس كما سنرى شخصية ممتازة ، تجمع بين السياسة والعلم ، وكان نصيراً كبيرا للعلماء والأدباء ؛ وكان يعقد مجالسه الفقهية والأدبية تارة بالأزهر وتارة بداره فيهرع اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، وكانت في الواقع أول مجالس جامعية حقة عقدت بالجامع الأزهر

والظاهر أن ابن كلس كان أول من فكر في جعل الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة ؛ وعلى أي حال فهو أول من فكر في تنفيذ هذا المشروع الجامعي ؛ ففي سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر ؛ وكان عددهم خمسة وثلاثين ؛ وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات شهرية وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم في يوم الفطر ، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً رزقا من ماله الخاص

وهنا نجد أنفسنا أمام حدث جامعي حقيقي ، فقد كان أولئك الفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر ، وأقرهم العزيز بالله ، أول الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وأجرت عليهم الدولة أرزاقا ثابتة وباشروا مهمتهم العلمية تحت رعاية الدولة بطريقة منظمة مستقرة ؛ وإذن فهنا نستطيع أن نقول إن الأزهر يكتسب لأول مرة صفته الجامعية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة ، وأنه يبدأ هنا حياته الجامعية الحافلة المديدة

— ٢ —

وإذا ما تقررت هذه الحقيقة ، فانا نستطيع أيضاً أن نقول إن أكبر الفضل في تتويج الجامع الأزهر بهذه الصفة الجامعية الجليلة يعود إلى الوزير ابن كلس الذي أسبغ عليه لأول مرة صفة المعاهد الدراسية العامة ، ورتب له أول فريق من الأساتذة الرسميين .

ولقد كان ابن كلس وزيراً عظيما وعالماً جليلا ؛ بل كان عبقرية سياسية حقيقية ؛ وهو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ؛ واسمه يدل على أصله الذمي ؛ أجل ، فقد كان ابن كلس يهوديا ، نشأ ببغداد ، وغادرها في شبابه إلى الشام واشتغل هنالك حينا

بالتجارة ، وأثقلتـه ديون عجز عن أدائها ففر إلى مصر فى عهد كافور الأخشيدى ؛ واتصل به وقام له ببعض الأعمال والمهام المالية فأبدى فى أدائها خبرة وبراعة ، وطاف بريف مصر يحصـل الأموال ويعقد الصفقات ، حتى تمكنت منزلتـه لدى كافور ، وأثرى وكثرت أمواله وأملاكه ؛ ثم ثابت له فـكرة فى الأخذ بنصيب من السلطة والولاية ، ورأى الإسلام خير طريق لتحقيق هذه الغاية ، وكان قد بلغه أن كافورا قال فى حقه لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فدرس قواعد الاسلام وشرائعه سراً ؛ وفى شعبان سنة ٣٥٦ هـ ، دخل جامع مصر (جامع عمرو) وصلى به الصبح فى موكب حافل ؛ ثم ركب فى موكبه إلى كافور ، فخلع عليـه ، واشتهر أمره ، وعلت منزله ، وقوى نفوذه ؛ فتوجس وزير مصر جعفر بن الفرات من تقـدمه وتمكن نفوذه شراً ، وأخذ يدس له الدسائس ، ويوغر عليه الصدور ؛ فخشى ابن كلس العاقبة ، وفر إلى المغرب فى شوال سنة ٣٥٧ هـ ، ولحق بالمعز لدين الله الخليفة الفاطمى ، وهو يومئذ ينظم مشروعه لغزو مصر ، فقدر المعز مواهبه وكفاياته ، ووقف منـه على أحوال مصر ومواطن القوة والضعف فيها ؛ ولبث ابن كلس فى خدمته حتى تم فتح مصر على يد جوهر الصقلى . ولما قدم المعز إلى مصر بأهله وأمواله وجيوشه فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، قدم معه ابن كلس ، وقلده المعز شؤون الخراج والأموال والحسبة والأحباس وسائر الشؤون المالية الأخرى ، فأبدى فى إدارتها وتنظيمها براعة وزاد الدخل زيادة واضحة ، ثم عهد اليه المعز بشؤون الخاص ؛ ولما توفى المعز بعد ذلك بقليل فى ربيع الآخر سـنة ٣٦٥ هـ فوض العزيز بالله ولد المعز وخليفته إلى ابن كلس النظر فى سائر أموره ثم لقبه بالوزير الأجل ؛ ووقعت فى حقه وشايات من بعض خصومه فاعتقله العزيز بالقصر بضعة أشهر ، ثم أطلقه ورده إلى مناصبه ؛ وتضاعفت منزلته لدى العزيز وغدا أقوى رجل فى الدولة ؛ وبذل ابن كلس جهوداً عظيمة فى تنظيم الادارة والدواوين ، وكان من أكبر بناة الدولة الفاطمية بمصر وموطدى دعائمها ونفوذها .

وليس غريباً أن يحرز رجل مثل ابن كلس تلك المـكانة الرفيعة فى ظل الدولة الفاطمية مع أنه يهودى الأصل والنشأة ؛ فقد كانت الخلافة الفاطمية تصطنع الذميين والصقالبة ، وتو ثقتها ؛ وقد ولى وزارتها فيما بعد ، فى عصر الحاكم بأمر ال وزراء يهود ونصارى خلص مثل ابن رسوس ، وابن فهد ، وع ابن نسطورس ، وابن عبدون ؛ وتولى بعد هؤلاء كثيرون فى ع مختلفة ؛ ونستطيع أن نفهم سر ما كانت توليه الخلافة الفاط لوزرائها الذميين من العطف والثقة إذا ذكرنا أنها تتهم من بـ خصومها بالانتماء إلى أصل يهودى ، وأنها كانت تتهم فى عقائ

ولم يكن ابن كلس وزيراً وسياسياً عظيما فقط ، بل كان وأديباً كبيراً أيضاً ، وكان يعقد بداره مجالس علميـة وأد دورية ينتظم فى سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء ؛ و يشرف بنفسـه على هذه المجالس ، ويشـترك فى أعمالها ، ويغد العطاء على روادها . وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن فى التأل والكتابة ، فوضع كتابا فى القراءات ، وكتابا فى الفقه ، وك فى آداب رسول الله ، وكتابا فى علم الأبدان والصحة ، ومختص فى فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله ، وهو المعروف بالرسـ الوزيرية . وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتا بداره ، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشـعراء فيناظر ويصلهم ؛ وكانت موائده دائماً منصوبة ممدة للوافدين ؛ وك كثير الصلات والاحسـان ، وبالجملة فقـد كان هذا الوزير والـ الأديب مفخرة فى جبين عصره ، وقد أشاد شعراء العصر بخلا وجوده ، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزير علة فى يده

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت ... رأيت فى كل شىء ذلك الأل
تأمل الملك وانظر فرط علته ... من أجله واسأل القرطاس والقلم

ومرض ابن كلس فى شوال سنة ٣٨٠ هـ ، فجزع عليه العزيز أيما جزع ، ولبث يعوده ويرعاه ، حتى توفى فى الخـامس من ذى الحجة ؛ فحزن عليه حزناً شـديدا ، وأمر بتجهيزه تجهيز الأمراء والملوك ، وخرج من القصر إلى داره فى موكب صامت محزن ، وشهد تجهيزه وصـلى عليه بنفـسه ، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكى بدمع غزير ، واحتجب فى داره ثلاثاً لا يأكل على مائدته والحزن يشمل الخاص والقصر كله ؛ وأفاض الشـعراء فى رثاء الوزير الراحل ومديحه ، فوصـلهم العزيز جميعاً ؛ وعلى الجملة فقد سما ابن كلس فى ظل الدولة الفاطمية إلى أرفع مكانة ، وترك

بوفاته فيها أعظم فراغ ، وكان له أعظم الأثر فى توطيد حكمها وادارتها بمصر

— ٣ —

هكذا كانت حياة ذلك الوزير الخطير الذى يدين إليه الأزهر بأول خطوة عملية حقيقية فى سبيل الحياة الجامعية ؛ ومن المحقق أن تلك الخطوة الأولى فى ترتيب الأساتذة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة ، كان لها أثر كبير فى تطور الغاية التى علقتها الخلافة الفاطمية بادىء ذى بدء على إنشاء الجامع الأزهر ؛ فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة الجديدة ومنبرا لدعوتها ؛ ولكن يلوح لنا أن الخلافة الفاطمية لم تكن ترمى فى المبدأ إلى توجيه الأزهر إلى تلك الناحية الجامعية ؛ ذلك لأن الجامعة الفاطمية الحقيقية أقيمت بعد ذلك فى عصر الحاكم بأمر الله باسم دار الحكمة أو دار العلم الشهيرة فى سنة ٣٩٥ هـ (سنة ١٠٠٥ م) ؛ ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف والتطورات التى أشرنا إليها قد بدأ حياته الجامعية ؛ ومع أن دار الحكمة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة ، فانها لم تلبث لصرامة نظمها وإغراق برامجها فى الشؤون المذهبية ، أن اضطربت أحوالها وضعف نفوذها العلمى ؛ هذا بينما كان الأزهر يسير فى سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة ، ويسير فى نفس الوقت إلى التحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التى كادت فى البداية أن تقضى على مصايره الجامعية الصحيحة

ونحن نعرف أن هناك مشروعاً للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر — وهو عيد يقع بعد نحو أربعة أعوام — ونعرف أن من مظاهر ذلك الاحتفاء بتلك الذكرى الجليلة أن يكتب تاريخ حافل للجامع الأزهر منذ إنشائه إلى يومنا ؛ فمن حق الوزير العالم ابن كلس أن يتبوأ فى ذلك التاريخ مقاماً يجدر بفضله فى وضع الحجر الأول فى صرح تلك الجامعة الكبرى [1]

محمد عبد الله عنان

(١) راجع فى هذا البحث وما يتعلق به : خطط المقريزى (الطبعة الأهلية) ج ٤ ص ٤٩ و١٥٦ و ١٥٧ و ج ٣ ص ٧ — ١٠ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ ؛ والاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفى ص ٢٣

الفلم المصرى

بمناسبة فلم دموع الحب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

لا يسع المصرى إلا أن يغتبط أعظم الاغتباط عندما يرى تلك الأفلام المصرية الجديدة التى أقدم أبناء مصر على إخراجها بين حين وحين ؛ ولا شك فى أنها فتح جديد يجب أن نفخر به ، ونحرص على المزيد منه ؛ وإذا كان الجمهور المصرى قد أقبل على رؤيتها ذلك الاقبال الباهر فان فى ذلك دليلاً قوياً على مقدار تطلعه إلى أن يرى تلك الصناعة تنمو وتنجح . فالشعب يؤدى واجبه فى تشجيع أبنائه من أهل الفن ويجيب مجهود المقدمين منهم إجابة كريمة مستنيرة

والفلم المصرى له مكان لا يستطيع فلم آخر أن يحل محله . فانه يشبع من عواطف المصريين مالا يشبعه خير الأفلام العالمية الأخرى ، وذلك أثر من آثار النهضة المباركة التى نحسها فى كل ناحية من النواحى . فالشعب المصرى يحس بنفسه ويريد أن يرى تلك النفس مصورة أمامه تصويراً فنياً كما يحتاج الانسان إلى أن ينظر فى مرآة ليرى صورة وجهه أو هندامه ، وكما يرتاح إلى أن يسمع ترديد آماله ونزعات نفسه ومُثله العليا

فكل فلم من تلك الأفلام حديث نفسى يتحدث به الفنان إلى بنى قومه . فهى ليست قطعة من الفن فحسب . بل هى رسالة عاطفية يرسلها الفنان من نفسه إلى نفوس الجماهير المتعطشة إلى الحياة والعلو والقوة ، ولهذا فنحن إذا ذهبنا لاجابة الداعى إلى فلم مصرى كانت إجابتنا أولاً قومية وثانياً فنية

ومن هذا الاعتبار لا يسع المصرى أن يقارن أو يوازن بين الأفلام المصرية ، وبين ما تخرجه الشركات العالمية من آيات الفن . لأن الأفلام العالمية إنما تؤدى رسالة واحدة وتشبع ناحية واحدة هى رسالة الفن المحض والناحية الأدبية الصرف ، ومهما كانت تلك الناحية الفنية فهى فى المحل الثانى من نفوسنا ، ولا يمكن بأى حال أن تحل المحل الأول الذى

استولت عليه الآمال والأمانى ، والرغبة القوية فى الحياة ، والسمو والاعتزاز بالنفس

غير أنا نطلب من النفس المصرية أكثر مما تستطيع بذله إذا نحن وقفنا عند حد الأمانى القومية ؛ بل إن تلك الأمانى نفسها قد تخيب ولا تجد ما يستثيرها ، أو يعبر عنها إذا لم تتقدم الناحية الفنية وتعلو إلى المستوى الذى تتطلبه النفوس من الجمال والقوة ؛ ولهذا نجد من أنفسنا جرأة على أن نتناول ما يظهر من الأفلام المصرية بالتحليل والنقد حتى نشير إلى ما كنا ننتظر ، وما كانت نفوسنا تصبو إليه ؛ ولهذا نرجو أن يدرك قراء هذه الكلمة قصدنا منها ، وهو أن نشير إلى أمور يجب أن تراعى فى الأفلام التى يقدمها المخرج المصرى . فاذا ظهر أننا على حق فيما نذهب إليه كان مخرج الفلم المقبل على هدى فيما يتطلبه الجمهور المصرى منه فيعمل على تحقيقه ، وبذلك يكون القصد أقرب إلى الكمال من اليوم . إننا لا نستطيع أن ننكر فضل أولئك الرواد الذين قد فتحوا باب ذلك الفن ، ولا نستطيع أن ننكر ما مهدوا من العقبات ، ولا ما عانوا من المشقة فى سبيل عملهم المجيد ، وإنما ندعو بهذه الكلمة إلى التطلع إلى الملا ، وبلوغ درجات جديدة من الاتقان . فاذا تكلمنا هنا عن فلم دموع الحب فلسنا نريد أن نخصه بالنقد ، بل إنا نتخذه مثلاً فى النقد لأنه أحدث الافلام وأقربها مثولاً فى الأذهان

إن الفلم لا يكون ذا أثر بالغ فى النفس إلا إذا كان يخدع الناظر عن المقصد المباشر الذى يرمى إليه الفنان . فان الناظر إذا استغرق فى تأمل القصة التى أمامه ، كان ميالاً إلى نسيان الحقيقة وأنه إنما ينظر إلى قصة — بل يخال أنه يعيش ويتأمل منظراً من مناظر الحياة ؛ وتبلغ مقدرة الفنان ذروتها إذا استطاع أن يخدع الناظر فيجعله لا ينتبه إلى أنه إنما يطالع صفحة صور متحركة بل ينظر منظراً من مناظر الحياة الحقيقية ، ويكون هذا الخداع ممكناً إذا عمل الفنان على أن تكون كل الوقائع المعروضة تسير سيراً طبيعياً لا تكلف فيه ، وتتابع تتابعاً طبيعياً من غير تعسف ولا شطط . فاذا شعر الناظر أن هنالك قفزة فى الوقائع ، أو أن هنالك ثغرة فى التسلسل ، انتبه إلى نفسه وصحا من سحر المنظر ، وفسدت عليه الغاية التى يقصدها الفنان

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة من فلم دموع الحب على تقصير الفنان فى هذا الجانب النفسى لم يصعب علينا الأمر . فان تصور أية حادثة من الحوادث فى تلك القصة يتيح لنا فرصة للتمثيل فلنأخذ الموقف الأول الذى ظهر فيه فكرى افندى (عبد الوهاب) فى حديقة المنزل وقابل الفتاة ابنة صاحب المنزل ، فان النظار يرد على مقابلة جاءت عفواً ، ولم يطل أكثر من مدة صب الشاى . ثم استأذن فكرى افندى فى الخروج لمقابلة صديق ومع ذلك قد كانت هذه المدة الوجيزة كافية لأنْ تجعل الشاب فكرى افندى يهوى الفتاة ، ولأن يجعل الفتاة تحب ذلك الشاب كأنما قد عزم كل منهما ابتداء على أن يحب الآخر إذا رآه حقاً إن هناك نوعاً من الحب ينشأ للنظرة الأولى ، ولكن ذلك الحب لا يستطيع أن يكون من نظرة عابرة جاءت عفواً ؛ ولئن كانت النظرة السريعة تعقب الحب فلا بد أن يكون هناك عامل قد ساعد عليها ، وأنه من حق النظارة أن يروا ما هو ذلك العامل الذى أسرع بالحب إلى هذا الحد

على أننا إذا سلمنا أن الحب قد ينشأ من النظرة العجلى ؛ فانا لا نستطيع أن نسلم أن تبادل ذلك الحب يكون بغير تدرج ولا تقديم ، وذلك على الأقل بين أصحاب النفوس المثقفة المهذبة ؛ فكان لا بد للمخرج أن يدبر من الحوادث ما يساعد على إتاحة الفرص لتبادل ذلك الحب وإنمائه ، ولكن فلم دموع الحب سار من المقابلة القصيرة الأولى إلى نزهة فى الفجر فى الحديقة يلتقى فيها الشاب بالفتاة ويبادلها أول ألفاظ التعارف فلا يكادان يسيران معاً دقائق قليلة حتى ترتفع الكلفة ، وحتى يندفع الاثنان فى تصريحات ودية ، وحتى تبادلا الحب تصريحاً . ثم يسير الفلم بعد ذلك إلى نزهة لا مناسبة لها ، ولا تفسير يعلل حدوثها ، وفيها يتبادل الحبان العهود والمواثيق على أقدس أنواع الارتباط

ومثل آخر لا يستطيع الناظر إلا أن يصطدم به وهو عند ما عاد فكرى افندى من السفر بعد أن تبسم له الحظ ليحمل إلى حبيبته بشرى تحقيق الأمل فى الزواج فيجد حبيبته فى الحديقة إلى جوار حلمى صديقه ، ولم يكن يعرف أن ذلك الصديق له أية علاقة بحبيبته وكذلك لم يكن ينتظر أن يجد تلك الحبيبة فى مثل تلك الجلسة الخاصة مع شاب آخر . ومع ذلك فانه لم يفعل شيئاً

أكثر من أن وقف وجعل يتكلم عما جاء له، وكأنه لم يلاحظ شيئاً فى وجود حبيبته فى الحديقة منفردة مع شاب يناجيها وحيداً. ألم يكن من حق الناظر أن يرى علامة من علامات الاستياء على وجه المحب المتيم؟ ألم يكن على الأقل من حقه أن يرى علامة من علامات الدهشة أو الارتياع على وجه الشاب الذى أتى يحمل كل آماله إلى حبيبته فلا يجدها تطير نحوه كما كان ينتظر؟ وأين كرامته المجروحة؟ وأين حبه الثائر؟ وأين غيرته ونيران حقده؟ ثم ذلك الصديق الذى خانه مع سابق إخلاصه إليه وآس على سعادته مع ما قدمه له فى الأيام الماضية من وده وإخائه. ألا يستحق منه غير ذلك الموقف الفاتر الخامد؟

ويعود فكرى افندى بعد ذلك إلى الدار التى كان قد بناها لتكون داره مع زوجته المنشودة فيبكى ويتضاءل حتى يبلغ مكان صورة تلك الحبيبة الغادرة — ولكنه يقف فيطيل البكاء إلى جانبها ولا تحدثه نفسه بثورة ما — أحقا هكذا يفعل المحب الثائر الحب؟

إننا نخطىء كثيرا لو زعمنا أن الفلم يستطيع أن يبلغ المستوى المطلوب بالغناء وحده، فاذا شئنا الغناء فليكن الفلم صورة لعرض غنائى لا محاولة فيه للتمثيل. فاذا كان ولا بد من المزج بين الغناء والتمثيل فليكن الدور الأكبر مسنداً إلى من يستطيع أداءه، وليختر موضوع الفلم اختيارا يسمح بأن يكون للمغنى دور لا يحتاج إلى كبير دراية فى فن التمثيل. فالحق أن الأدوار الثانوية فى فلم دموع الحب كانت لا نسبة بين أدائها وبين أداء الدور الأكبر. فلقد أتقن المعلم حنفى (عبد القدوس) ما شاء له الفن وكذلك أتقن حلمى افندى (سليمان نجيب) دور الصديق الغادر والغنى المستهتر اتقانا يستحق كل الاعجاب، ولو كان هذان الفاضلان هما بطلا القصة لكان الاخراج الفنى أبرع وأبدع

وأما عن الغناء فلست أدرى ماذا يرى كل من شهد الفلم فيه، لأن الغناء مرجعه إلى الذوق ولا يستطاع فيه النقد المدقق الذى يصح فى التمثيل، على أنى لا أستطيع أن أكتم ما أحسست به، وذلك أننى لم أسمع إلا تلك الأغانى التى اعتدنا سماعها فى الصالات، وفى ليالى الغناء المعتادة، وفى أسطوانات الأدوار الشائعة. وبعد فانا نتساءل: أهذا هو الغناء المقصود فى روايات الأوبرا أو الأوبريت؟ إننا لم نتشهد بعد من تقدم الغناء ما كنا شهدنا بوادره فى روايات السيدة منيرة المهدية أمثال كرمن وروزينا وتاييس وغيرها مما عرضته تلك الفنانة الماهرة فى وقت ما منذ عشرات السنين، وقد كنا ننتظر أن يسمو الغناء المسرحى بعد ذلك إلى درجة أعلى من تلك، فاذا بنا نعود إلى تلك الأغانى الساذجة المكررة التى اعتدنا سماعها على التخوت أو فى الصالات. وإنا لا نشك فى أن تلك الأغانى لها جمالها الخاص، ولا سيما عند بعض الأذواق التى يجب أن تخرج عن قيود المألوف إلى التعبير عن عواطف النفوس، وتستدرج السامعين إلى أنواع منوعة بدل تلك الآهات المكررة والأنغام الواحدة المعتادة. وإنه لمن العجيب أن نسمع صوت العود والكمان، بل نقر الدف لحفظ الوحدة فى تلك الأغانى كأنما نحن نستمع إلى تخت لا إلى شخص حى يفيض بعواطفه ويترجم عن وجدانه! والحق أن تلك الآلات الموسيقية وذلك النقر الناشز كان له أثر عظيم فى تحويل العقل عن الاستغراق فى القصة، وإلى إزالة غشاء الخيال عن جو القصة وإعادتها إلى جو آخر تنبه فيه العقل إلى أن الصور التى أمامه إن هى إلا صور متحركة وليست قصة حياة

ولقد جرى مخرجو الأفلام المصرية إلى الآن على عادة لا نظنها تؤدى بهم أبدا إلى التفوق المنشود، وذلك أنهم يحاولون الاستغناء عن المؤلف الأديب. ولو كان المؤلف الأديب غير ضرورى لكان لهم العذر فيما يذهبون إليه، ولكانت رغبتهم فى الاقتصاد مفهومة واضحة، إذ لا نستطيع أن نلومهم على اقتصاد مبلغ من المال بدل أن يبذلوه للأديب الذى لا فائدة منه، ولكن الأمر على غير ذلك، فان أول أساس لنجاح القصة أن تكون قصة صالحة مكتوبة كانت أو مترجمة. ولقد رأينا فيما مضى أن أقوى مهارة فى التمثيل تضمحل وتنتهى إلى الفشل التام إذا لم يكن دعامة ذلك التمثيل موضوعاً سامياً وقصة رائعة ذات جمال وفن وأدب؛ ونحن إذا استعرضنا المحاولات التى حاولها المخرجون إلى الآن لم نجد أنهم خصصوا لناحية القصة عناية تذكر. وقد يشكو المخرجون من أن الأدباء لا يواتونهم بالمؤلفات اللائقة كما أنهم قد يشكون من أن الأدباء يظهرون لهم من صعوبة المراس ما يجعلهم ييأسون من تعاونهم، ولكننا مع ذلك نريد أن نذكرهم ببعض أرقام قد تكون لها دلالة كبرى فان متوسط ما يناله الأديب الانجليزى نظير قصة من قصص الأفلام يتراوح بين خمسمائة جنيه

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

نصب أعداء بستور له فخاً فدعوه الى أن يجرى تجربته من اللقاح الذى اكتشفه فى جمع عام . فأجابهم الى ذلك ، وحقن البهائم على رؤوس الأشهاد بالمكروب الأضعف ، وبعد أيام حقنها بالضعيف ثم بعد أيام بالأقل ضعفاً . واصطبر الى اليوم الذى يحقنها فيه بالمكروب الحى القتال

— ٤ —

وجاء اليوم الكبير الموعود ، اليوم الحادى والثلاثون من مايو ، فحقنت المواشى جميعها — ما حُصّن منها باللقاح وما لم يحصن — بحقنة قاتلة لا شك فيها من مكروب الجمرة ، وقام بحقنها رو ، فنزل فى الوحل الى ركبتيه ، ومن حوله مصابيح الكحول وقوارير المكروب ، فأدهش النظارة بحسن ضربه الابرة فى جلود الحيوانات ، وبهدوئه ورزانته وبروده وهو يضرب

أودع بستور كل سمعته العلمية هذه التجربة الدقيقة التى لا تؤتمن ، وما فرغ منها حتى أدرك حقيقة الموقف ، وأيقن أنه أجاب داعى الرجولة والشجاعة برضائه إجراءها ، ولكنه أبقن الى جانب ذلك أنه أذن للجمهور ، وهو المتلوّن المتذبذب ، فى تقدير علمه والحكم عليه . فلم يطب له نوم تلك الليلة ، وقضاها يتلوى ويتقلب على فراشه ، وكلما عزه النوم قام عن سريره يطلب الراحة فى القيام ، ثم هو لا يجده فيعود الى النوم ، وهكذا دواليك ، وأوصته زوجه بالصبر ومنّته خيراً فصمت عنها ودخل معمله وخرج منه مُقطَّب الجبين عابساً ، ولا شك عندى أنه هرع الى الله فصلى ورجا وابتهل ، ولو أنى لم أقرأ شيئاً من ذلك فى الأوراق

كره بستور الصعود فى البالونات ، وخشى دائماً عواقب الخصومات فى المبارزات ، ولكنه لم يجبن ولم يتردد لما دعاه هؤلاء البيطريون الى هذه التجربة وساقوه عامدين الى هذا المأزق الخطير

وجاء اليوم الأكبر الموعود ، يوم الثانى من يونيو عام ١٨٨١ فجاء الناس من كل حدب وصوب لحضور اليوم المشهود ، يوم يحكمون فى أمر بستور ، فان خيراً فله ، وإن شراً فعليه ، وكثر عددهم حتى ضاق بهم المكان الرحيب ، وتضاءل الى جانب هذا الاجتماع كل اجتماع سبقه ، وكان فى الحاضرين نواب الأمة وشيوخ من شيوخها ، وكان فيهم عظماء ، وكان فيهم كبراء ، ومن كل حسب ونسب لايظهر فى الناس الا فى أعراس الأمراء وجنائز الملوك ، وكان فيهم الصحافى الشهير دى بلوفتسر de Blowitz فاجتمعت حوله جمهرة من رجال الصحافة ومكاتبيها

ودقّت الساعة الثانية ، فخرج بستور الى الميدان يصحبه رجاله ، وفى هذه المرة لم يكن له ولهم من الجمهور الا الترحيب الصارخ والهتاف المتتالى . فأما الشياه الأربعة والعشرون التى كانت لُقّحت ثم حُقنت فيها الملايين من المكروبات القاتلة فقد وجدوها قائمة تأكل وتجرى فرحة مرحة هانئة بالحياة ، ولم يجدوا بواحدة منها أثراً من الحُمّى ، فكأن مكروب الجمرة لم يخالط دمها ، وكأنما كان بينه وبينها ما بين الأرض والسماء

وألف جنيه ، فى حين أن متوسط ما يناله الأديب من هوليوود أكثر من ألف جنيه بلا نزاع ؛ وليس من العجيب ولا الحرم أن يفوز الممثل بآلاف الجنيهات ؛ وكذلك ليس من العجيب ولا الحرم أن يفوز المخرج أو الممثل أو عارض الأفلام بآلاف مثلها ، ولكنا نضيف الى ذلك أنه ليس من العجيب ولا من الحرم أن يفوز الأديب ببعض تلك الألوف ، لأنه شريك أساسى فى المجهود الفنى . ولهذا نرجو أن يعنى المخرجون باختيار الموضوعات وألا يضنوا على الأدباء بما يشجع البرز منهم على التخصص فى إخراج ما تحتاج اليه الأفلام المصرية من القصص

هذه كلمة لا نقصد بها إلا خدمة ذلك الفن الوليد ونحن على يقين من أن القراء مدركون قصدنا منها ، وكذلك نرجو أن يحملها المخرجون والفنانون على القصد السامى الذى نرمى اليه .

محمد فريد أبو حديد

أما الشياه الأربعة والعشرون الأخرى التي لم تلقَّح ، تلك الأربعة والعشرون التي حقن الكروب القتال تحت جلدها من غير أن تُحمى منه وتُحصَّن ، فقد وجدوا اثنين وعشرين منها راقدة على جنوبها في خط واحد رقدةً تبعث الأسى والحزن . أما الاثنتان الأخريان فكانتا لا تزالان قائمتين على أرجلهما ولكن في غير اتزان ، تجاهدان في سبيل العيش هذا العدوّ الأخفى الذي ما غالب الحياة إلا غلبها ، وكان دم أسود ينضح من أنفيهما ومن بين شفتيهما ينذر بقرب لحاقهما بالشياه المنبطحة أصريعة من أخواتها

صاح بَيْطار لأخيه البيطار : « انظر ، انظر ، فهذه أخرى من التي لم يلقحها بستور قد سقطت إلى الأرض ! »

— ٥ —

حضر عيسى المسيح عرس (كانا) الشهير ، فلما نفِد الخمر وكاد يتعرض أهل العرس للفضيحة شاء يسوع أن يستحيل الماء خمراً فاستحال ، ولم يذكر لنا الانجيل تفصيل ما ظن الناس بصاحب هذه المعجزة ، ولا ما فعلوا به عندها . وهذا بستور في الثاني من يونيو عام ١٨٨١ يأتي في هذا العصر الحديث بمعجزة لاتقل إعجازا عن تلك التي وقعت في ذلك العصر القدّس المتين فيقوم هذا الجمع الحاشد ، على الرغم مما كان من اختلاف أهوائه يحنون رؤوسهم لهذا الرجل القليل ، المشلول بعضُه ، الذي حمى مواشيهم تلك الحماية التامة الرائعة من قرصات هذه الخلائق الصغيرة التي تقرص فتقتل في الظلام قتلاً مؤكَّدا . إن هذه التجربة الجليلة التي أجراها بستور على الملأ في بحبوحة هذا الحقل تقع في نفسي موقعاً شاذاً غريباً ، لأنها قصة شاذة غريبة في تاريخ الانسان وجهاده هذه الطبيعة القاسية . أما شذوذها ففي هذا التهليل والتكبير الذي صحبها ، وهذا الترحيب الصاخب الذي ناله بستور من أجلها . فعهدنا بكشوف العلم ألا تقدَّر في حينها ، وعهدنا بها أن ينال صاحبها الأذى من أجلها . ألم يودع جاليليو السجن من أجل أبحاثه التي تسببت أكثر من غيرها في الانقلاب الهائل الذي أدى بالدنيا إلى حالها الحاضرة ؟ وكم لجاليليو من أشباه وأمثال . كذلك عهدنا بصاحب الفكرة أن تبقى فكرته ويزول فلا يَنْعم حتى بالذكر طيبا كان أو خبيثاً . وإلا فما العباقرة الأولون الذين اخترعوا النار واصطنعوا العجلات وابتدعوا الشراع وأنسوا الخيل ؟

— ٦ —

أما بستور فحظه غير حظ هؤلاء جميعاً . فهذا هو قائم في هذا الحقل ومن حوله الأغنام الأربعة والعشرون تنشطح وتمرح بين جُثث أربع وعشرين لأخوات لها ماتت شر ميتة . رجلٌ قدير في تمثيله ، ومسرحٌ فخم في بشاعته ، ورواية خالدة على الدهور ، وقد اجتمعت الدنيا اليه تسمع وتنصت ، وتُثبت ما تسمع ، ثم تدخل في دينه أفواجاً تحارب معه الموت لما بان لها أن النصر قريب أكيد

وأحدثت هذه التجربة في الناس تحوّلا كبيرا . مثال ذلك رجل يدعى الدكتور بَيُوت Biot كانت صناعته علاج الخيل والسخرية ببستور سخريةً مُرَّة . فلما رأى أخيرة الشياه تموت جرى مندفعاً إلى بستور يصيح به : « بالله عليك يا سيدي إلاّ ما حصَّنتني بهذا اللقاح كما حصَّنت هذه الشياه ، ثم حقنتني بذلك الكروب القاتل كما حقنتها فنجّيتها ، فالعالم لابد أن يقتنع بصدق هذا الكشف العجيب ! »

وجاءه خصيم آخر مخفوض الجناح يقول : « حقاً إني قصفت بالنكات الكثيرات عن هذه الكروبات ، أما اليوم فأنا خاطئٌ توّاب ! » . فأجابه بستور مقتبساً من الانجيل : « سيكون الفرح في السماء لخاطئٍ واحد يتوب أكثر منه لتسعة وتسعين من العُدول الذين لا يحتاجون الى التوبة »

أما الصَّحَفيّ الكبير دى بلوفنس فهتف لبستور وهرع يرسل تلغرافه إلى جريدة التيمس والى جرائد الدنيا . قال فيه : « إن تجربة قرية پويي لوفرت Pouilly-le-Fort نجحت نجاحا كاملا لم يسبق له مثيل

وتلقت الدنيا هذا الخبر ، وأخذت تنتظر ما بعده ، فكأنما حسبت في شيء من التخليط أن بستور بعض الأنبياء أرسله الله رحمة بالناس ، يحمل عنهم الأثقال ويدفع عنهم الآلام . وخرجت فرنسا عن وعيها فيه فنادت به أعظم أبنائها ومنحته وسام الكردون لأكبر لليچيون دونير Grand Cordon of the Legion of Honour وبعثت اليه الجمعيات الزراعية والبياطرة وفقراء

الفلاحين ممن حلّ بحقولهم داء الجمرة اللعين ، بعثوا أجمعين إلى بستور برقيات عديدة يسألونه ألوف الحقن من لقاحه الشافي ، وأجاب بستور وأعوانه الثلاثة رجاء هؤلاء في نخوة مجيدة أنستهم صحتهم – والعلم كذلك . وكان بستور شاعرا ، فأثارت شاعريته في قلبه إيمانا بتجربته ، التي كانت ، زاد حتى أربى على إيمان من دخلوا في دينه حديثا

نعم أجاب بستور السائلين ، فقلب معمله الصغير بشارع ألم Ulm إلى مصنع للقاح ، فكنت ترى الأوعية الكبيرة بأحسيتها على النار تغلي وتتفقع ليُزرع فيها مكروب الجمرة بعد إضمانه وتأنيسه . وكنت ترى رو وشمبرلاند يقومان على إضعاف البشلة القوية والتخفيف من عنفها لتعطى شياه فرنسا بعض المرض دون أن تقتلها ، وتوخيا الدقة فيما يعملان ، ولكن أين الدقة من المسرع العجل ؟ وتهيأ اللقاح ، فقام الأعوان جميعا والعرق يتصبب منهم بتعبئة الجالونات الكثيرة منه في زجاجات صغيرة تسع الأوقيات القليلة . وكان لابد أن تكون الزجاجات طاهرة من المكروب كل الطهارة فطهروها ؛ كل هذا دون أن يكون لديهم كل الأجهزة اللازمة لضمان العاقبة ، ياعجبا لبستور ! كيف قام بذلك كله ؟ بل هي تجربة واحدة واضحة ابتدعها – أم هو القدر أغراه بها ؟ – ملأته ثقة عمياء ليس عهدي بالتجارب الفرادى الواحدة أن تملأ رجلا عظاما

وفي أثناء تحضير هذه الألقحة كان الأعوان الثلاثة يتحينون الفرص فيفلتون منها ليلقحوا البهائم في شمال فرنسا وفي جنوبها ، وأدى بهم المطاف يوما إلى هنغاريا . لقحوا مائتي شاة هنا ، ولقحوا خمسمائة وستا وسبعين شاة هنالك ، حتى بلغ ما لقحوه في دون العام مئات الألوف منها ؛ ثم يعود هؤلاء الملقّحون الأفّاقون يجرون أرجلهم من التعب إلى باريس ، وفي حلوقهم عطشةٌ إلى شراب يسوغ ، وفي قلوبهم عطفةٌ إلى حُبٍّ يطيب ، أو لعلهم كانوا يتوقون إلى ساعة هادئة يقتلونها على دخان الطُّبّاق : ولكن أين لهم ذلك وبستور كان يكره رائحة الطباق ، أما الحب والشراب فكيف يجوزان عنده وشياه فرنسا تثغو ثغاء عاليا تطلب الخلاص ممن عنده الخلاص ، فلا يكون لهؤلاء الثلاثة الأرقاء رغم شبابهم مندوحة من اطاعة هذا الجاهد المجنون الذي تعبّدوا له اختيارا ، هذا المأفون الذي تجمع فكره وتركّز كيانه وانحشد عزمه على إيجاد هذا المكروب الذي يقتل بعـ بعضا . فيقومون بالتخفف من ملابسهم والتشمير عن سواعـ ثم يقضون الساعات الطويلة إلى جانب مجاهرهم يحملقون حتى تحمر جفونهم وتتساقط رموشهم . وفي أثناء ذلك يز الفلاحون صياحا طلبا للقاح ، ويزداد أصحابنا انهماكا في تجا فيقعون أثناء ذلك ومن جرائه في متاعب غريبة لم تكن الحسبان : دخلت بعض الجراثيم الغريبة إلى الأحسية مع مكرو الجمرة ، وإذا باللقاح الضعيف الذي يكفي لقتل الفأر صار يقـ الأرنب الكبير . فقام هؤلاء الأبالسة يتعرفون أصل الخطأ حـ عرفوه ، ويتعقبون مدخل هذا المكروب الضال فسدو فيأتيهم بستور بعد هذا كله ساخطا صاخبا . ولم ذا ؟ لأنـ أضاعوا في هذه التجارب وقتا طويلا ثمينا !

وأراد بستور أن يكشف عن جرثومة داء الكَلَب

كان ليل المعمل هادئا إلا من صوت الخنازير وعرا الأرانب ، أما الآن فقد غطى على هذا وهذا نباح الكلاب المسعورة ، وهي تعوي عواءً يملأ الآذان وقرا والقلوب رعبا ويطير بالنوم عن أعين الأعوان الثلاثة رو وشمبرلاند وتويلييه .. لهم الله من ثلاثة ! ليت شعري ما كان يصنع بستور في حرب رسلَ الموت لولا هؤلاء الثلاثة

ومضى عام او دون عام على المعجزة التي جرت على يدي بستور في قرية بويلوفرت Pouilly-to-Fort ، حتى أخذ يتضح للناس أن بستور ، هذا الصياد الماهر في صيد الميكروب ، ليس إلّـها معصوما بل بشرا مخلوقا يخطيء ويصيب . وجاءته كتب عدة تراكمت على مكتبه من مونت بلييه Montpothier وعشر مدن أخرى في فرنسا ، وكذلك من هنغاريا ، وكلها تشكو أن الشياه تموت من الجمرة ، لا الجمرة الطبيعية المألوفة ، ولكن جمرة جاءتها من هذا اللقاح الذي قصد الى خلاصها ، وأتت الأنباء بالسوء من أصقاع أخرى تقص حكايات أخرى عن خيبة هذا اللقاح . ففي بقعة من تلك البقاع اشترى الفلاحون هذا اللقاح ، ودفعوا ثمنه نقدا ، ولقحوا به قطعانا كاملة من الأغنام ، ولما جاء المساء عادوا الى منازلهم وأراحوا جنوبهم في مضاجعهم وهم يقولون حمدا لله الذي منّ علينا برجلنا العظيم بستور ، ثم طلع الصباح عليهم ، فما انفتحت عيونهم حتى وجدوا الحقول

د غطّتها جثث الشياه النافقة — تلك الشياه التي زعموها حصينة قد ماتت من بزور الجمرة التي تخبّأت في ثرى هـذه الحقول

وأخـذ بستور يكره كل صباح أن يفضّ الكتب التي تأتيه إشفاقا على نفسه مما كتب كاتبوها ، وودّ لو سدّ أذنيه فلم يسمع بسخرية الساخر وضحكة المازىء يأتيه صداها من وراء الأركان . وأخيرا حدث شر ما يحدث له : تقريرٌ خرج من معمل كوخ ، تقريرٌ محكمٌ في بروده ، دقيقٌ في فظاعته ، كتبه ذلك الرجل الألماني القصير الجسيس ، وفيه نَفي أن يكون للقاح الجمرة لدى التطبيق نفع أبدا . وزاد همَّ بستور علمُهُ أن كوخ أدق صيادٍ للمكروب في الدنيا

قطف بستور القطفة الأولى من ثمار تجربته فكانت حلوة طيبة ، ثم أتى يقطف القطفة الثانية فأجزعته مرارتها يقينا . ولكنه ، طيّب الله ثراه ، كان شهما لا يثنيه الحَدَث الجليل . فلم يكن في جبلّته أن يعترف للناس أو لنفسه بأن دعاواه العريضة الطويلة ليس لها هذا العرض ولا هذا الطول الذي ادعاه . وكأني بك تسمعه يتمتم لنفسـه : « ألم أقل إن هذه الألقحة تُمرض الشياه قليلا ولا تقتلها ، ثم هي بعد ذلك تحصّنها من الداء تحصينا تاما كاملا . فهو ذاك ، فلألزمْ ما قلت فليس عنه من مَحيد »

يا له من باحث عظيم ! ومع هذا فما أقل حظه من تلك الصراحة النبيلة التي نسي فيها سقراط نفسه ورابلاس Rabelais ذاته ، فلم تخدعهما عن الحق الظاهر ، ولم تستهوِهما عنه المنافع . على أن بستور لا يلام هذا اللوم كله ، ففرقٌ ما بينهما واسع واضح ، فهذان إنما طلبا الحق على الأسلوب الذي ارتآياه ولم يتطلبا شيئا سواه ، أما بستور فقد ساقه بحثه رويداً رويدا إلى حيث يفقد المرء لبّه ويُضيّع رشدَه ، إلى صناعة تخليص الأرواح من براثن الموت ، وهي صناعة ليس الحق بأهمّ ما فيها

وفي عام ١٨٨٢ بينا التقارير مكدسة على مكتبه تحمل أنباء المصائب الكثيرة من هنا وهنا ، قام بستور وسافر إلى جنيف وألقى على الزبدة المختارة من مجاهدي الأدواء في العالم خطبة رنّانة موضوعها : « كيف نخلص الأحياء من خبيث الأدواء بحقنها بالمكروبات بعد إضعافها » . وفيها أكّد لهم بستور : « أن المبادئ العامة قد وجدناها فلا يستطيع المرء أن ينكر أن المستقبل ملىء بآمال عظام . وصاح فيهم : « إننا جميعا مدفوعون بعاطفة قوية نبيلة ، هي حب الحق وحب التقدم بالانسانية إلى خير مما هي فيه » . ولكنه وا أسفاه لم يذكر في هذا الخطاب البديع شيئا عن الشياه الكثيرة التي ذهب لقاحه بها وقد كان لحفظها وتحصينها

وكان كوخ حاضرا في هذا الاجتماع ، وظل يَطرِف إلى بستور بعينه من وراء نظارته الذهبية ويبتسم في لحيته الكثّة كلما سمع بستور يقصف بالجمل الرنّانة ، قد عَمِرت باللفظ البديع وأقفرت من العلم الصحيح . وكان بستور يخطب وهو يحس كأن سيفا خفيا مُصلَتا فوق رأسه . ولما فرغ من خطابه تحدّى كوخَ أن يجادله على رؤوس الاشهاد علما منه أن كوخ في تصيد المكروب خير منه في الحِجاج . فقام كوخ فقال : « سأقنع نفسي بالرد كتابةً على السيد بستور ، وسيكون هذا قريبا » . وكحّ ، ثم جلس

(يتبع) أحمد زكي

الحياة الأدبية فى دمشق

للأستاذ على الطنطاوى

لا شك أن (الرسالة) بسموها عن الفكرة الاقليمية الضيقة، وفتحها أبوابها لأبناء العربية جميعاً، ودعوتها إلى الاجتماع على التوحيد فى الدين، والفضيلة فى الأخلاق، والوحدة فى السياسة، والصحة فى اللغة، والجمال فى الأسلوب، والتجديد فى الأدب.. سيكون لها أثر كبير فى تاريخ الصحافة العربية بما سنت من هذه السنة الحسنة التى لم تعرفها من قبل كبريات مجلات مصر الاقليلا، وبما بلغته من الجمال والاتقان، فى الشكل والموضوع؛ وسيكون لها أثر كبير فى تاريخ الأدب العربى، بما وضعت للأدب من منهج مستقيم، وما أحيت من الأسلوب العربى، وما قبست من روائع الآداب الأجنبية؛ وسيكون لها أثر كبير فى التاريخ العربى العام، بما دعت اليه من الوحدة العربية، وما نشرت من أمجاد السلف، وما وضعت فى نفوس الناشئة من قرائها، من العمل للجامعة العربية الواسعة، لا للاقليمية الضيقة . . .

ولا شك أن «الرسالة» اليوم للأقطار العربية كلها، لا لمصر وحدها؛ فكما تفتح «الرسالة» أبوابها للمقالات الوصفية والقصصية، وللقصائد والبحوث التى يبعث بها اليها أدباء الشام والعراق وغيرها، فلتفتح أبوابها للفصول النقدية، والبحوث المستفيضة عن الحركة الأدبية فى هذه البلاد، ولو كانت قاسية شديدة على النفوس، ولو كشفت عن حقائق يحب بعض الناس ألا ينكشف عنها الستار؛ وليس من مصلحة الأدب فى شىء أن يظل أدباء مصر والعراق جاهلين مدى الحركة الأدبية فى الشام — مغترين بها — وليس من المصلحة أن يبقى أدباء الشام ومصر جاهلين مدى الحركة الأدبية فى العراق، بل يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم، ومبلغ قوتها أو ضعفها، وسبب تقدمها أو علة قصورها، وأن يحللوا أدواءها وأمراضها، لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها، وتقويتها وشد أزرها؛ والحياة الأدبية فى الشام أحوج شىء إلى المداواة والعلاج، إذا كان فى الشام حياة أدبية، لها وجود، ولها آثار يستطيع الناقد أن يصفها ويتحدث عنها؛ وأنا أشك فى وجود هذه الحياة، فلا أستطيع أن أجزم بوجودها لأنى لا أرى علامة من علامات الحياة فى أدباء دمشق وأدبها ولا أستطيع أن أنفيها، لأن فى دمشق أدباء كباراً معروفين ولأن دمشق — كما يعلم الناس جميعاً — عاصمة من عواصم البيان العربى . . . .

ولقد رجعت أعرض تاريخ الأدب فى دمشق منذ عهد الاحتلال إلى اليوم، وأنظر الآثار الأدبية الخالصة التى أخرجها أدباء دمشق فى هذه الخمسة عشر عاماً، فلا أجد إذا استثنيت مجلتى الرابطة الأدبية والميزان، ورواية سيد قريش لمعروف الأرناؤط، وكتابى المتنبى والجاحظ لشفيق جبرى، ورسائل أئمة الأدب لخليل مردم بك، إذا استثنيت هذه الكتب وكتابين آخرين أو ثلاثة قد أكون نسيتها، لا أجد أثراً أدبياً له قيمة. وهناك كتب محمد بك كرد على: خطط الشام والاسلام والحضارة، وغيرها، ولكنها ليست من الكتب الأدبية الخالصة، وإنما هى كتب تاريخ لا تدخل فى موضوع مقالى

على أن هذه الكتب التى استثنيتها ليست فى درجة واحدة من حيث قيمتها الأدبية، فبينا نعد (سيد قريش) عملاً فنياً كبيراً على ما فيها من ضعف العقدة الروائية، وتشابه المناظر، وتكرار الأوصاف، وغلبة النصرانية على أجل صفحاتها، نعد رسائل (أئمة الأدب) لخليل مردم بك، كتباً مدرسية، موضوعة لطلاب البكالوريا لا تبلغ أن تعد فى الدراسات القوية التى تستند إلى طريقة فى البحث معروفة، وتكشف عن نواح مجهولة من حياة الأديب الذى تبحث عنه ومن أدبه؛ ثم إن هذه الكتب نفسها إذا قيست بمدينة كدمشق، فى مدة طويلة كهذه المدة، لا تعدو أن تكون أثراً ضئيلاً لا يدل على حياة .... وهذا الأثر على ما فيه من ضعف ينحصر فى فنين من فنون الأدب هما: القصة التاريخية، والدراسة التحليلية؛ أما سائر فنون الأدب كالقصة التمثيلية، والأقصوصة القصيرة، والصورة الوصفية، والمذكرات الأدبية، والتأملات الفلسفية والشعرية، والدواوين القيمة، والخطب البليغة، وغيرها من فنون الأدب، فلا نكاد نجد لأدباء دمشق فيها أثراً يذكر

من أجل ذلك لم أقل إن فى دمشق حياة أدبية، لأن ما نحن فيه ليس بالحياة ولا يشبه الحياة، ولم أنف هذه الحياة لأن فى

دمشق أدباء ينتجون ، أو يستطيعون أن ينتجوا شيئاً ، وإنما أقول إن أدباء دمشق فى منزلة بين الموت الكامل ، والحياة الصحيحة ، هى السبات العميق ، والنوم الطويل الذى يشبه نوم الضفادع طول الشتاء ، إذ تدخل فى ثقب من الثقوب ، فتلبث الفصل كله كأنها قطع الحجارة ، لا تأكل ولا تشرب ، ولا تنق ولا تتحرك ...

وإلا فما يصنع كتاب دمشق وشعراؤها ؟ وأين هى منتجاتهم الأدبية ؟ وهل يكفى الشاعر أن يقول كل خمسة أعوام قصيدة واحدة تضطره اليها المناسبات اضطراراً ، ثم لا يكون فيها أثر من نفسه ، ولا تصف شيئاً من عواطفه ؟ وهل يكفى الكاتب أن ينشر كل عامين مقالة تطالب منه ، أو مقدمة كتاب يسأل كتابتها ؟ بل هل يستطيع أن يملك لسانه الشاعر فلا يقول شيئاً وهو يرى كل يوم ما ينطق الصخر بالشعر من مصائب الأمة ونكباتها ، بل وهمومه هو ومصائبه وما يشاهده فى حياته فى بيته ، وحياته فى عمله ؟ . أليس فى حياته سرور وألم ، وأمل وقنوط ، وضحك وبكاء ؟ أفيضحك الشاعر فلا يغنى ، ويبكى فلا ينوح ، وتهز قلبه الحادثات فلا يقول شيئاً ؟ أنا لا أستطيع أن أتصور كاتباً أو شاعراً ، لا يكتب ولا ينظم ، وكل ما حوله يهيج نفسه ، ويثير عاطفته ...

إن أدباءنا يحتجون بأنهم لا يجدون مكاناً ينشرون فيه ، وإذا لم يجد الأديب سبيلاً إلى النشر ضعفت همته ، وانكسر نشاطه ، ولم يجد حافزاً إلى العمل ، لأن فقد عنصر النشر من أكبر الأسباب فى هذا الركود الأدبى ... وهذا صحيح لا غبار عليه

وليس فى دمشق مجلات أدبية ، إلا مجلة صغيرة اسمها (الطليعة) يصدرها نفر من الشباب المثقفين الذين يحملون الشهادات العالية من أكبر معاهد أوربا ، ولكن لها منحى خاصاً لا يرضى عنه الناس كلهم ، وهى تمشى بخطى مضطربة . وربما اضطر أصحابها إلى إغلاقها كما اضطر من قبل أصحاب (الثقافة) إلى إغلاقها ، برغم أن أصحابها من صفوة أدبائنا ومفكرينا ، كخليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستانى ؛ ثم إن الجرائد اليومية لا تعنى بالأدب عناية كبيرة ، ولا تخصص له صفحات دائمة تنفق عليها بسخاء ، وإن هذه الصفحات الأدبية التى تزين بها صدور بعض جرائدنا اليومية صفحات فارغة ، لا أظن أن أحداً ممن له صلة بالذوق الأدبى يرضى عنها ، وما أظن أن أصحاب الجرائد والقائمين عليها يرضون عنها ، أو يجدون فيها وفاء مما يؤملون . وإذا ألف الأديب كتابا أو قصة لم يجد الناشر ، وإذا أنفق عليها من ماله لم يشترها أحد ، لأن دمشق بلد تقرأ كثيرا ولكنها لا تشترى ؛ وهذه مجلة (الرسالة) ، لا تجد فى دمشق أديباً أو متأدباً إلا اعترف لك بأنها خير مجلة أخرجت للناس ، وأن العالم العربى لم يعرف مجلة مثلها منذ أنشئت أول مطبعة فى مصر ، ولا تجد أديباً أو متأدبا إلا وهو ينتظر يوم الثلاثاء ليقرأ الرسالة ، وبعد ذلك كله يباع من أعداد الرسالة فى دمشق كلها أقل من خمسمائة عدد ...

هذه حجة الأدباء فى تقاعسهم عن النشر ، وهى كما ترى حجة مقبولة ، ولكنك إذا سألت القراء لم لا يشترون ، احتجوا بأن الأدباء لا ينشرون ، وإن تقاعسهم وكسلهم علم القراء الزهد فى الآثار القيمة والانصراف عن شرائها ، وأنه لا بد من أن يضحى الأدباء بقسط من أموالهم وشهرتهم حتى يستعيدوا القراء الذين فقدوهم . على أن الذنب فى رأيى ذنب المدارس والمدرسين ، لا ذنب الأدباء ولا ذنب القراء ، فليس فى الشام اليوم من دروس الأدب إلا هذا المقدار القليل الذى يتعلمه الطالب فى مقرر البكالوريا . وهذا المقدار لا يحق حقاً ، ولا يبطل باطلاً ، ولا يصنع شيئاً أكثر من تبغيض الطلاب فى الأدب ، وتسويده فى أعينهم ، ذلك لأن شعب الأدب فى صفوف البكالوريا تسير فى طريق عوجاء أبعد ما تكون عن بث الملكة الأدبية فى نفس الطالب . وكيف تكون الملكة الأدبية طائفة من أخبار الشاعر وأشعاره يستظهرها الطالب من غير أن يفهمها غالباً ، ويحتفظ بها فى دماغه إلى يوم الامتحان ، فاذا أداه ونال الشهادة أهملها ، أو دخله الغرور فظن أن معنى (بكالوريوس فى الآداب) كاتب أو أديب ، فزهد فى المطالعة ، وانصرف عنها أو طالع ما يقع تحت يده من الكتب والمجلات حتى ابتلى بسوء الهضم ، وأصيب بالتخمة العقلية ... فترك القراءة وذهب إلى النادى (القهوة) يقطع عمره فى النرد والشطرنج ثم يعمد إلى الكتابة فى موضوع علمى أو فلسفى دونت فيه عشرات المجلدات من غير أن يقرأ منها شيئاً ...

ثم إن طلاب شعب الأدب فى صفوف البكالوريا لا يستطيعون

أن يستعينوا بالثقافة العامة التى يتلقونها فى المدرسة ، ولا يعرفون كيف يستفيدون من علم الغريزة (الفسلجة) أو علم النفس أو التاريخ فى بحوثهم الأدبية ولا يعرفون شيئاً من مناهج النقد ، وقواعد التحليل الأدبى ، لا لأن الطلاب كسالى أو بلداء ، فالطلاب يدرسون الأدب الفرنسى فيسيغونه ، ويدرسون الرياضة فيفهمونها ، ويدرسون أشياء كثيرة غير هذه يضيقون ببعضها ويتبرمون به ، ويقبلون على بعضها ويحبونه ، ويجدون لذلك كله أثراً فى نفوسهم ، فاذا جاء الأدب العربى وجدت أكثر الطلاب لم يلذّوه ولم يبق فى نفوسهم أثراً

وسبب ذلك أن أكثر المدرسين عاجزون عن أداء هذه المهمة التى انتدبوا أنفسهم لها ، أو انتدبهم لها من بيدهم مقاليد الأمور ، لشهرتهم الأدبية أو لشهاداتهم العالية ، أو لشيء غير ذلك له صلة ضعيفة ، أو لا صلة له بالأدب قط . وأكثر المدرسين اليوم بين رجلين : رجل ثقف الأدب العربى القديم ثقافة حسنة ، وضرب بالسهم الوافر فى علوم العربية نحوها وصرفها ، وبلاغتها وعروضها ، ونقدها وروايتها ، وحفظ أيام العرب وأمثالهم واستطاع أن يفهمها حق فهمها ، وينقدها نقد بصير بها ، ولكنه عجز عن أن يدرسها ويدرس رجالها دراسة تحليلية صحيحة لجهله الآداب الأجنبية ، وجهله قواعد النقد الحديث

ورجل درس الآداب الأجنبية أو واحداً منها دراسة عميقة ، وعرف مناهج البحث ، ومذاهب النقاد ، وأحسن نقلها إلى الأدب العربى ، ولكنه عجز عن فهم الشعر العربى ، وجهل علوم العربية ، فغدا لا يستطيع إدراك معنى النص العربى فضلا عن نقده أو الحكم عليه

ثم إن أكثر المدرسين من غير رجال الأدب ؛ وإن فيهم من لم يعرفه الناس شاعراً مطبوعاً ، ولا كاتباً مجيداً ، ولا ناقداً بصيراً ، ولا أكثر من ذلك ولا أقل . فكيف لعمرى نطالب منه غرس الملكة الأدبية فى نفوس الطلاب ؟ إن مثل هذا الطلب هدم للمنطق الذى يقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه

***

هذه قيمة الحياة الأدبية فى الشام ؛ وهذا موطن الضعف فيها ؛ فلا صلاح لها إلا بتقويته ، ولا نجاح لأمة لا تسخر أدبها لخدمة قضيتها . فهل يبدأ فى حياتنا الأدبية « عهد الاصلاح » المنتظر ؟

على الطنطاوى

أزمة أوربا الدينية فى العصر الحاضر

بقلم محمد جلال

يخيل إلينا — كما يرى الكثيرون — أن التصوف هو أ[...] حالات النفس وأقدرها على محاسبة الضمير وكشف حقيقة [...] قال ابن خلدون : « وأصله — أى التصوف — . . . طريقة ا[...] والهداية[1] » وقال أيضاً : « ويتم (بالمجاهدة) وجود النفس ال[...] لها من ذاتها وهو عين الادراك[2] » وقال الأستاذ لالَنْد :

« Le mysticisme est : .., croyance à la possibilité d'une [...]ion intime et directe de l'esprit humain en principe fon[...]mental de l'être [3]

أى أن التصوف هو اعتقاد فى امكان حصول اتحاد تام مبا[...] بين الروح وحقيقة الانسان . وقال الفيلسوف برْجسو[...]

« Le grand mystique serait une individualité qui fran[...]irait les limites assignées à l'espèce par sa matérialité, qui [...]ntinuerait et prolongerait ainsi l'action divine [4]

ومعناه أن الصوفى الحقيقى هو الذى يتخطى حجاب الحس الذ[...] وضعته الطبيعة البشرية ليواصل بذلك العمل الالهى

يتضح من ذلك أن التصوف يحقق شرطى الدين وهما الاعتقا[...] والعمل . فتلاحظ إذاً أن معظم المتصوفة قد نشأوا فى بيئة دين[...] إلا القليل منهم من ظل يعمل بعيداً عنه فى الظاهر . ولما ك[...] للروح العلمية اتجاه يختلف عن الاتجاه الدينى فى كثير م[...] أغراضه وميوله ، مال العلماء إلى التخلى عن الدين ورميه بالنقص[...] لهذا سنقصر بحثنا الآن على حقيقة الايمان مع اتصاله بالعلم والفلس[...] والتاريخ

(١) مقدمة ابن خلدون — طبعة القاهرة ص ٤٠٨

(٢) مقدمة ص ٤١٠

(٣) [...]alande : Vocabulaire de la philosophie-P. 496. Paris 1932

(٤) [...]ergson : Les deux Sources de la morale etc ... — [...]P. 215.Paris 1912

ـ العلم :

أحدث تقدم العلم فى القرن التاسع عشر اضطرابا فى الحياة ـدينية أفضى الى تمحيص الدين على ضوء القوانين العلمية . من لك لوحظ أن نظرية خلق العالم فى سبعة أيام ـ كما هو وارد فى عظم الكتب المقدسة ـ لم تتفق وقوانين العلم الكونى . ن اليهودية والمسيحية والاسلام ومعظم الأديان الأخرى شأت كلها فى الشرق فمن المحتمل إذاً أنها تكاد تتحد فى فكرة لهية واحدة . فى فلسطين مثلا ساد الاعتقاد قديما أن الأرض حاطة بطبقة صلبة معلقة فيها الكواكب يعلوها عرش الله الذى ـبت الأرض وما عليها وهو منفصل عنها ؛ ولكن علم الفلك ثبت أن العالم لا نهاية له ، فيكون عرش الله واقعا فى حيز العالم جرى عليه سنة هذا الوجود من حركة وسكون . أدى هذا لخلاف الى رأيين : الأول اتحاد العلم والدين ، والثانى انفصالهما

أما الرأى الأول فانه يقرر — على رغم ظواهر الأشياء وما فى ـكتب المقدسة من اختلاف — أن هنالك صلة بين العلم والدين سهل تحديدها إذا اتفق العلم والدين على معانى الكلمات ؛ فى لمثال السابق مثلاً جاء فى التوراة أن معنى كلمة يوم : مدة مقدارها صر لا أربعا وعشرين ساعة كما نعتقد نحن اليوم ؛ على هـذا لاعتبار تكون الأرض قد تم تكوينها فى ستة عصور — وهذا هو رأى علماء الجيولوجيا

ويقول الرأى الثانى إن للعلم والدين أسبابا ودواعى خاصة بكل منهما ، وقد يتفاوت محيط أحدهما بالنسبة لمحيط الآخر دون أن يتعارضا فى شىء . فمقتضى الدين اعتقاد وأمر ثم عمل ؛ وأما مقتضى العلم فكشف قوانين هذا الوجود — بما فى ذلك الانسان — وتحقيقها بالطرق التجريبية . وليس من العلم فى شىء أن تحمل الجماعة على اتباع هذا النظام أو التخلى عن هذا العرف . يستوى عنده البار والفاجر ؛ وبعكس ذلك الدين ، فانه حب وعاطفة ومفاضلة بين بار وفاجر ؛ فهو لذلك ضرورة للنظام الاجتماعى ، وهذا رأى برجسون فى كتابه المشار إليه آنفا

أفى ذلك طمأنينة للنفوس ؟ قد يكون ذلك . . ولكن ظاهر الشىء غير حقيقته ؛ إذ النفس لا تعرف السكون الذى يُزيّن لها التخير بين طريق وطريق ؛ فهى إن خضعت للدين بالأمس فذلك من طبيعتها ، وإذا خضعت للعلم اليوم فذلك أيضاً من طبيعتها . وقد لا تخضع غداً لا لهذا ولا لذاك ، وعليه فان هذا التقسيم لم يحقق مأرباً

٢ — الفلسفة :

أما فى الفلسفة فالنزاع قائم بين أنصار مذهب الفكر (١) « Intellectualisme » وبين أنصار مذهب العمل (٢) « Pragmatisme ». يقرر الفكريون أن الذكاء هو خير وسيلة لفهم الحقيقة الواقعة ، وفى رأى العمليين أنه وسيلة لتكوين صور لأعمالنا نستعين بها على فهم الأشياء

فعند الفكريين (أى معظم فلاسفة الغرب والفرنسيين منهم خصوصاً يتقدمهم ديكارت) تتعين الحقيقة بنفسها ؛ وليس فى مستطاع الفرد ـ مهما كانت قدرته ـ أن يحددها دفعة واحدة ، ولكننا نقترب منها شيئاً فشيئاً مع وفرة مجهودنا الفكرى خلال العصور المتطاولة . كان العلم عند اليونان مثلاً مبادىء وأوليات ، وقد ترقى بعض الشىء عند العرب ، وفى عصر النهضة بأوربا ، وما زال يرتقى ويستخلص أسسه من شوائب كانت سبباً فى تغيير معالم الحقيقة التى لم تتغير جوهرها بالنسبة لحاجة الانسان

ويرى آخرون أن ليس للحقيقة وجود ذاتى ، فهى محض فكرة دعت اليها حاجة الانسان . فعند اليونان تدل كلمة حقيقة على شىء نسبى ـ أى أن حاجة الانسان الفكرية تتطلب حقائق مختلفة حسب الزمان والمكان ، وهى بدورها تحقق رغبة علمية واحدة ؛ وبما أن حاجة الانسان غير ثابتة فتكون تلك الحقيقة أيضاً غير ثابتة ، وذلك لاختلاف وسائل تحقيقها . فمطرقة الحداد مثلاً كانت حقيقة فى الماضى ـ كذلك مطرقة النجار هى حقيقة اليوم ، ورغم ما أثبته العلم والعمل حتى عهد قريب من صحة نظرية نيوتن الخاصة بتجاذب الأجسام ، فان أبحاث اينشتين تثبت حقيقة أخرى بعد ما هدمت الأولى ؛ أعنى أن هناك تناسباً خاصاً فى الحياة الفكرية لكل عصر ؛ ولا غضاضة

(١) مقابلة لكلمة روحيين « Spiritualistes » كما جاء فى مقدمة ابن خلدون — ص ٣٠٣

(٢) استعملناه مؤقتاً إذ لم نعثر بعد على اصطلاحه فى المراجع العربية

إذا أقبلنا بجميع جهودنا على تلك الحقيقة المتغيرة فهى لم تتحدد بغير منفعتها

مثل وليم جيمس(١) هذا الرأى فى أميركا – وأخذ برجسن ببعض منه ، أى الجزء الخاص بتطور الفكر(٢) ، وتبع المسيو ادوار لروا أستاذه برجسون فى ذلك إذ رأى أنه يصعب على الرجل العملى فهم الدين من الوجهة المنطقية . وعليه فان عبارة « الأب والابن وروح القدس » معناها تصور حقيقة وائمة تنشأ عن ارتباط الفرد بغيره . ويقال مثل ذلك فى تفسير وجود عبادة الله وحده — أى كونه ماثلا حقيقة روحاً ودماً (عقيدة سر القربان عند المسيحيين) ؛ ويراها آخرون أنها صيغة أمر ، أى وجوب تصور حالة العبد أمام ربه كما يجب أن يكون عليها أمام انسان يرى فيه أصل الحب والتقديس . هو أصل اليقين والشعور الطاهر ، وقال بمثل ذلك الأب سرتلانج Sertillanges الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بفرنسا فى إحدى جلسات مجمع باريس الدينى الأخير إذ رأى أن أوضاع الدين لم تكن غير نواميس للحياة

٣ — التاريخ

شك علماء التاريخ فى مصادر التوراة ، لأن فيها أجزاء وضعها قديسون ، وقد نُقحت من بعدهم . وللآن لم يستقر الأمر على معرفة كيفية حصول ذلك لعدم توفر الوثائق التاريخية الكافية ؛ فلا يبعد إذن أن يكون قد وقع فيها بعض التغيير أو الحذف . مثال ذلك أسفار موسى الخمسة فانه لم يزل أمرها غامضاً حتى اليوم . يوجد عدا هذا بعض تناقض فى الآيات من حيث الصورة والمعنى . آمن(٣) عيسى عليه السلام فى عودته ثانية إلى الارض ، وإن الساعة آتية قبل أن ينقضى العهد الذى نزل هو فيه

يلاحظ هنا تباين نشأ عما رمز اليه فى التوراة من أعمال دنيوية ، إذ انقضى عهده وانتهى النظام الوراثى للملك وهو لم يعد بعد . أدى هذا الاعتراض إلى احداث انشقاق فى الكنيسة الكاثوليكية فى أواخر القرن التاسع عشر . أخذ رجال الكنيسة من جديد يدرسون الانجيل من حيث التاريخ والجغرافيا والنشر

وقد قضى الأب لوازى Loisy حياته فى التوفيق بين الدين وال

نشأ عن تلك الحركة اتجاه جديد فى الرأى سمى بمذهب « الاعتقادى » Symbolofidéisme يرى أخذ الأشياء على أنها بسيطة شأنها أن تحدث معتقدات تتناسب مع قوة إيمان ال فيكون مرمى نظرية نزول المسيح تحديد قيمة مثلى

على رغم كل ذلك ما زال فى النفس بقية تدعوها إلى آ معتقد جديد وحقيقة أخرى ، فيرى برجسن وهنرى بوا H. Poincaré أن العقل غير كاف وحده لكشف الحقيقة التى وراءها الانسان منذ نشأته . فلا بد له أن يتبع هدى ر كما فعل أفلاطون وغيره

ويرى أوجست كنت وأتباعه أن الدين نظام اجتماعى للتطور مثل الجماعة فى تاريخها من تشريع وأخلاق . و الأستاذ شارل مورا Charles Maurras ضرورة الدين الكاثو لاصلاح النظم الاجتماعية فى فرنسا لما فيه من عناصر السلا ماهى حالة الفرد النفسية إزاء ذلك الانقسام ؟

* * *

عبر علماء النفس عن ذلك بأنه شعور جديد بشخصية ا يدعوه إلى تحديدها من حيث اتصاله بالجماعة ، ومن حيث ا بنفسه ، مما أدى إلى ترك بعض المعتقدات والتمسك بأخرى ولما كانت الجماعة تحمل فى ماضيها عناصر مدنيات مختلفة فهو الدافع إلى هذا الشعور فى الفرد . ويختلف الأفراد فى ق ذلك حسب استعدادهم النفسى ، وهذا ما نشاهده فى القد بولس إذ اضطربت نفسه متأثرا بعصره ، فخرج على الدين ثم اليه متحمساً لتجديده ، وذلك بالدرس والمجاهدة النفسية

يرى بعض رجال الدين أن مثل هذا النوع من المجا محاولة من العبد أن يتصل بالله ليظفر بالغفران . ولكن بـ أتباع لوثر ليسوا فى حاجة إلى ذلك ، إذ الغفران فى رأيهم . للجميع ، وثقتهم بالله عظيمة لتوزيع هذا الغفران ، فلم ي عندهم إذاً هذا النوع من المجاهدة

وهناك فريق آخر يقال لهم الوصوليون Methodistes وغا فعل الخير لأنهم مجبرون عليه ، وهذا عمل خلو من الش

(١) William James : La Philosophie de l'experience. Tr. fr. 1910

(٢) H. Bergson : L'Evolution Créatrice. Ch. 3. Paris 1928

(٣) — انظر العهد الجديد — أعمال الفريسيين — اصحاح ١ — طبعة كبردج سنة ١٩٢٨

بالاتجاه نحو الله كما رأى ذلك رينان Renan

عرضنا فى تلك الكلمة الموجزة نشوء بعض تطورات الدين بأوربا ، مما يدعونا الى الاعتقاد أن هناك عوامل أخرى أدت الى تلك الاختلافات الطائفيـة غفل عنها رجال الدين والفلاسفة ، وهى التى دعت علماء الاجتماع للتعبير عنها بطريقة أخرى غير ما سبق . وذلك موضوع كلمتنا القادمة

(باريس)

محمد مندور
بجامعة باريس

بين الماضى والآتى

للاستاذ أديب عباسى

« وصلنا عدد (الرسالة) المائة والسادس والعشرون ، وقد انتهينا إلى جزء هذه المقالة الأخير . وكم كانت دهشة المفاجأة إذ فضضت غلاف الرسالة ووجدت بين بحوثها مقال الأستاذ الكبير أحمد أمين (أمس وغداً) . وكانت بادرة الفكر التى تلت دهشة المفاجأة أن أهمل الموضوع وأوفر على نفسى عناء المراجعة والتنقيح . ولكننى عدت وقلت قد أكون طرقت الموضوع من ناحية غير التى طرقها الأستاذ ، وقد أكون على خلاف معه فى الرأى أو بعضه . وقرأت المقال فوجدت أننا نسير والأستاذ بعض الطريق ونفترق فى بعضه الآخر . ومن أجل هذا الافتراق أبعث بمقالى هذا إلى (الرسالة) العزيزة »

تمرُّ بزمرة من الشيوخ خلوا الى أنفسهم وأرسلوا أحاديثهم إرسالا لا تحده موضوعية البحث الجدى ، ولا اندفاع العاطفة الثارة ، ولا عصبية الجدل ؛ فتكاد لا تحسُّ فى حديثهم إلا اللهفة العميقة ، والالتياع الشديد على الزمن الفائت ، حيث اللذة لا يكدرها ألم ، والصفو لا يرنقه كدر ، وحيث النعيم أبداً مقيم ، والمنى أبداً حُفَّل دانية ! وينبثُّ اليك من صدق اللهجة واجتماع الرأى وخلوص النيـة فى حديثهم ما يوحى بأن أعصر السعادة المطلقة قد تلكأت عند شبابهم ، وترخّصت فقط لماضيهم ، فأقامت ثمّ لا تبرح ولا تريم ؛ لهذا أخل الحاضر ، وعقم المستقبل ، وغادر الناس طيب العيش وبشاشة الأمل !

تسمع هذا وخلافه مما تفيض به بقايا العمر وأعقاب السنين من الشيخوخة ، فتتدسّس اليك الحسرة ويغمرك الألم ان تأخر بك الزمن ، ولم يحشرك فى زمرة الشيوخ هذه ، ويجعلك فى حشدهم ، فيكون لك من السعادة مثل ما يتحدثون ويصفون

وتقودك رجلاك من حيث أنت الى زمر أخرى وأفراد آخرين ، بعضهم ما يزال ـ فى رأى نفسه ـ يستعدُّ لخوض معركة الحياة ، وبعضهم الآخر ـ كذلك فى رأى نفسه ـ قد أعدَّ لها العـدَّة ، وهيأ السلاح ، فهو الآن يخوض غمارها ليصطلى بنارها ، أو يستاف العطر الذكى عن أزهارها

وتقف تتسمع ، فما يروعك من هذه الزمر مثلُ انشغالها بمستقبلها عن حاضرها ، وغفلتها عما فى اليد الى ما يعنيها به الغد ، كأن حياة اليوم ليست فى العمر ولا فى تقدير الزمن ، ويمضون هذا المضى ، الغفلةُ عن حاضر الحياة غريبة مدهشة ، والثقة فى المستقبل قوية آسرة ، ويظلُّ هذا دأبهم الى أن يؤذّن بركود الشباب ، ووشك الانخراط فى سلك الشيخوخة المتهدمة . عندها ـ وعندها فقط ـ يصحون ، ولكن لات ساعة صحو

وهنا ينقلب الوضع وينكفئ الاتجاه ، فتحل الذكرى القريبة أو البعيدة محل العزم ، والركود محل النشاط ، والعجز محل القدرة ، وهكذا بين ماضى الحياة وآتيها ، يُسقط الناس كل رصيدهم فيها ، ويجعلون منها ـ على حد تعبير الرياضيين ـ الكمية المهملة

وليست هذه الصور التى رسمنا بالصور الخاصة أو الطارئة طروءاً زائلاً ، إنما هى صور لها من طبيعة الشعور وخصائص الاحساس ما يجعلها من ألزم الصور للحياة وأكثرها لصوقاً بها وشيوعاً فيها . فالشيخ ، أو من كان فى حكمه من شبان السنين ، يتّجه إلى الماضى ليلطف عنده مرارة الحاضر ، وليتعوض بذكراه عما يفيته العجز وضعف المُنة من لذائذ راهنة يراها ولا يرى السبيل إليها كيف يكون . وقد تقول : لم يؤثر الشيخ أن يرتد بخياله إلى ماضى العمر ولا يرى أن يرسله فى مطاوى المستقبل ليلتمس عنده القرار وينشد السلوان ؟ والجواب سهل هين إذا علمنا أن خيال الشيخ يخونه هنا ، كما يخونه كذلك منطق الواقع ومنطق الاحتمال . فالشيخ يدرك أن سبيله من بقية العمر هى سبيل نازلة لا صاعـدة ، وأن كل يوم يمضى يدنيه من النهاية ويقلص لديه بقايا الأمل وأصداء السعادة ؛ وإذاً فالحاضر فسحة مسدودة ، والآتى سبيل مظلم مخيف ؛ أما الماضى فهو السبيل الوحيد الذى يستطيع أن ينساب فيه الخيال دون أن يشله برد الواقع أو تروّعه بشاعة الحاضر

وقد تسأل : ألم يكن فى ماضى الشيخ الألم كاللذة ، والنعيم كالشقاء ، والحرمان كالأثَرة ؟ فكيف يؤثر أن يعيش فى ماضيه دون حاضره وآتيه ؟ وهنا نرجع إلى حقائق الشعور الراهنة ، فيستبين لنا أن الألم الفائت يفقد قيمته مع الزمن حتى لا يبقى منه إلا ذكراه وصداه . وهذه الذكرى – إذا لم يصحب أسباب الألم عند نشوئه حالات ملازمة – تضحى باعثاً على الاطمئنان والراحة . فأنت إذ تفقد كل ما تملك أو تصاب إصابة جائرة فى سمعتك أو تجلس إلى حبيب إليك علّقه المرض بين فكى الفناء والبقاء ، تشعر بالغبطة وانفراج الشعور بزوال الخطر ، حينما يعوض عليك السعى بديلاً من مالك ، وحينما يردُّ إليك الوضع العادل سمعتك ، وحينما يتخطى غول الفناء حبيبك فيرده إليك سليماً معافى تنعم بلقائه نعمتك بكل عزيز عليك . وعليه فتلك الأحداث التى كانت يوماً ناراً يقلب عليها الاحساس ويضرّم الشعور أضحت بعد زوالها مجلبة للراحة والاطمئنان ، فلا عجب إذاً من ارتداد الخيال إلى الماضى وعكوفه عليه

بيد أننا لا ننكر أن ثمة عللاً أخرى غير ما أسلفنا لهـــذا المكوف من الشيخ على ماضيه وانصرافه اليه عن آتيه وحاضره : منها أن الشيخ إذ يرتدُّ إلى ماضيه يُسيِّر الشعور فى مسارب أضحت بتكرار الحدوث ممهدة لا تعترضه فيها عقبة ولا تتصدى له عثرة . ومن هنا فكرة « الماضى السعيد » عند الشيوخ ، ومن هنا أيضاً ميلهم الميل الشديد إلى المحافظة وإبقاء القديم على قدمه وتجنب كل جديد يصدم الشعور ويدعو إلى تحويله من مجراه المعتاد

ومن هذه العلل أيضاً ذهاب الرفقة وتخطُّف الموت أبناء الجيل الواحد ، بحيث يجىء اليوم الذى يشعر فيه الشيخ انه غريب فى بيئة غريبة ، فيزداد حنينه إلى ذلك الرهط الذاهب من جيله ، فيستعيد بخياله ذكراهم المحبَّبة وأيامه وأيامهم الحافلة

يضاف إلى هـذا لون معهود من ألوان الدفاع عن النفس بتهوين الحرمان عليها وطلب العزاء لها عنه فى الماضى ؛ وهو نوع من أنواع تخدير الاحساس ينشأ أول الأمر فى دائرة الوعى ، ولكنه مع الزمن وتوالى الحدوث والتأثير يتسرب إلى دائرة العقل الباطن ويتخفى فى تيه اللاشعور . وعندها يصدر ذمُّ الحاضر عن عقيدة وينطلق عن يقين . وهذه الظاهرة تبدو أجلى وأوضح فى حياة الجماعات منها فى حياة الأفراد . ومن هنا أن الأمم أهمل حاضرها وازداد تخلفها عن غيرها من الأمم ازدادت حفا بالماضى وتغنياً اليه وعكوفاً عليه . ولعل عبادة السلف عند بـ الشعوب ترجع فى معظم الأمر إلى هذا الميل النفسى العميق

* * *

ونعود إلى صورة الشعور كما يرسمها طماح الشباب ويحدد أمله ، فنجد أن الشاب إذ يتجه فى أمانيه وأخيلته وعمله المستقبل ، إنما يجرى على طبيعة الشعور وبموجب قواعده . فالحا لدى الشاب الذى لم يحدد الضعف وقصر المجال وضيق المضط أمله فيه وحدود مسماه ، هو مرقاة منها يرقى إلى غيرها . فحاضر الحياة من الشاب هو الدرب ، والمستقبل الافق ، ما متجدداً مغرياً بالسعى والسير ما بقيت فى النفس حوافز الـ والسير . ثم ان حاضر الحياة مزيج من الخير والشر واللذة و والنجاح والفشل . أما آتيها فهو كما يرسمه الخيال ويحدده الأ خير ونعيم ونجاح . أما الماضى فقد كان يكون من خياله ما يك من خيال الشيخ لولا أن صورة المستقبل صورة قوية رائعة لا للتفكير فى الماضى الا ما يدعه القوى للضعيف . وعلى كل ترى من الشباب من يزوى عن مستقبله ويتجه الى ماضيه إن يكن له ماض ، فمل الشيوخ الذين غادرهم الأمل وأحلام الـ

هـذا تحليل مجمل لصور الشعور فى ثلاثة أطوار الحياة و أزمنتها الثلاثة ، لا نعتقد أننا نتحكم فيه أو نفرضه فرضاً القارىء ، لا سيما اذا أزلنا من الصورة جانبى المبالغة والاغر من تفاؤل رخيص يجمل الحياة ابتسامة طويلة كاذبة ، وتشا عبوس دائم التقطيب ، كما يتمثلان فى حياة نفر من الناس شأنهم الحقيق من الحياة شأن الهامش من الصحيفة ، فهـ وليسوا فيها

مما وصفنا ترى جلياً ان حاضر الحياة – وهو كل حقنا فيها لا ينال من فطنة الشعور إلاّ قدراً ضئيلاً عابراً إذا قيس بما أخيلتنا ويكظها من صور الماضى والآتى

وقد تقول : ماذا علينا – إذا كان هذا هو الحال – لنخلّـ الحياة من هذا العبث الذى يضيع فيه العمر بين لهفة على الماض وغفلة عن الحاضر واستشراف للمستقبل ؟ وجوابنا ان من طبي

اة أن يمازج فيها الخير والشر وتساير اللذة الألم ، وانه يستحيل
يكون الحياة خيراً كلها أو شراً كلها ، وانه لهذا أضحى واجباً
يقبل عليها الناس اقبالاً لا يفيتهم ما يتيسر لهم من نعيمها ،
يفيتهم – كذلك – النظر إلى المستقبل والسعي في سبيله ؛ ولن
ص نظر الناس إلى المستقبل من استمتاعهم بلذات الحاضر إذا
فوا كيف يحسنون السير في سبيله سيراً معتدلاً حتى لا يضحى
بغلة لهم تزحم حاضر الحياة على نصيبها الذي يجب أن يكون
من وعي الشعور ، بل نحن نعتقد أن المرء يتيسر له من سعادة
واقع ، مع السعي السليم والتطلع إلى المستقبل الذي لا يقطع المرء
ن حياته الحاضرة ، أكثرمما يتيسر له حينما ينقطع عن ماضيه
آتيه ليكبّ على الحاضر وحده يرضع فيه اللذة ويترشف النعيم
لى الطريقة الخيّاميّة

وهذه الحالة السليمة من الشعور لا تحلّ حلولا مفاجئاً ، كما يحلّ الوحي ، ولا تجيء بالسعي الهين أو المعتدل ، انما هي حالة تقتضي السعي الأكيد ، والتعاون الشديد ، من جميع مصادر التوجيه النفسي . ولعل البيت والمدرسة يفوقان في هذا الشأن جميع مصادر التوجيه الأخرى في طول مدى التأثير وعمقه ، البيت والمدرسة يستطيعان أن ينشئا الجيل الذي لا يقتله الفشل ليرتد الى الماضي يخدّر فيه الشعور ، ولا يستخفه النجاح ، فيستعبده المستقبل ويستذله . ويكون ذلك بأن يتعاون البيت والمدرسة على تعويد الطفل بالتلقين والايحاء تلقي مؤثرات الحياة برحابة في الصدر ، وتوطين للنفس على خير الحياة وشرها على السواء

ويساعد على تكوين هذه الحالة السليمة من التصور مثل التربية الاستقلالية التي يُربيها أبناء الأمم السكسونية ، حيث يتخذ الألم معنى الواقع الذي لا بدّ منه ، واللذة معنى الخير يجيء بالسعي ، فلابدّ من تذوّقه واستمتاعه إلى أقصى حدود الاستمتاع

ويجب كذلك أن يتعاون البيت والمدرسة تعاوناً حكيما في الحد من أنانية الصغار الصارخة ، وإفهامهم أن فرص النجاح ليست وقفاً عليهم وحدهم ، وأن غيرهم لهم من حق النجاح مثل حقهم ؛ فلا تمضي حياتهم آمالاً مخيّبة ، وآلاماً موصولة

كذلك على المدرسة والبيت أن يعوّدا الناشئ كيف يقف من حوادث الحياة موقف الحياد والاستقلال في التقدير ، ومن نفسه موقف المحاسبة والتحليل الدقيق للأوضاع التي تسوقه اليها ماجريات الحياة . بذلك يكتسب ثقة في النفس وتقديراً عادلاً للأوضاع ، يريحانه من خصومة النفس وغربة الوضع وغرابة الاحساس ...

ومن واجب البيت والمدرسة – كذلك – أن يعتاد الصغار تقدير آلام الغير ويستيقنوا أن الناس يتألمون كما هم يتألمون ، وأن ما نشاهده من ظاهر السعادة عندهم هو في أغلب الأحيان دون ما نقدّر ونتوهم

ومن أول واجبات البيت والمدرسة أن ينشئا الصغار على التفطن الى جميع مظاهر الجمال وتذوقه في الطبيعة والحياة والفن ، فان في ذلك توسيعاً لمدى اللذة وتغليباً لأسباب السعادة على أسباب الشقاء

وأخيرا يجب على البيت والمدرسة أن يفقها أن عملية التربية ليست إعداد المرء للحياة كما تصر نظم التربية القديمة ، إنما هي – كما يقول جون ديوى – فيلسوف النزعة الحديثة في التربية : « الحياة » بذاتها !

أديب عباسي

الرابطة الثقافية
بين مصر والشرق العربي
دعوة الى توثيقها

للأستاذ رفيق اللبابيدي

أحب أن أقرر أولاً أن الأمة العربيـة مهما تـكن شتى فى نوازعها السياسية ، هى أمة متماسكة ذات وحدة أو كيان واحد فى ثقافتها وفى تفكيرها

وقد اختلفت على هذه الأمة أدوار من الزمن ، كما اختلفت فيها أطوار من التاريخ ، وكانت تجتمع كلما حزبها أمر من الأمور عند هذه الوحدة الفكرية فى قوالب شتى ، فالدين كان ولا يزال واحداً ، واللغـة كانت ولا تزال لغة واحدة ، والخوالج النفسية العامة واحدة ، والأدب فى مقاييسه ونوازعه كان واحداً ؛ ولو عدنا رَجْـعَـنا إلى التاريخ وقلبنا صفحاته ، لوجدنا أن الأقطار العربية كانت تجتمع عند الاحتفال بالشاعر النابه والأديب مهما يكن موطنه ومهما تـكن نزعته ؛ وقد كان الشـعر أو الأدب يطوفان فى أرجائها يحملان اسم الشاعر أو الأديب طواف الفكرة الدينية أو المذاهب الفقهية ، أو النحل الشتى من بلد إلى آخر ، أو من قطر إلى قطر

وبينا كانت هذه الأقطار تسودها النزعات السياسية المتباينة كانت تفسح صـدورها للآراء الدينية والمذاهب الـكلامية ، والاستنباطاتِ التشريعية ، تتسرب اليها عن طريق السـفارات العلمية بارتحالِ العلماء فى مختلف العصور

وفى بغداد ، وفى دمشق ، ثم فى القاهرة ، وبين هذه المواصم التاريخية العريقة فى تاريخنا الواحد وماضينا أمثلةٌ صادقة تسجّـل هذا الاتحادَ الثقافى أو هذه الرابطة العلمية ، وإن تـكن فى غير ما نألفه الآن من وسائل يسّرتها عواملُ الرقى ، وسننُ التطور

ولقد كانت رحلات الفقهاء ، وجماعات الأدباء ، ورجالات التاريخ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تُوثّـق من عُرَى هذه الروابط فاجتمع للعرب من هذا تراث واحد يمثل ذلك الا[...] الفكرى ، وإن تـكن قد اختلفت طرقه إلى النتائج ، وتبا[...] وسائله فيها ؛ ومذاهب الفقه ، والنحل المبسوطة فى الدو[...] والمظان التى تسربت إلى المغرب الأقصى والأندلس فى[...] ازدهارها ومن هذه إلى الشرق ــ لونٌ من ألوان هذا الاتجاه كم[...] من قبل ذلك للأدب سفاراته فى طواف الشعراء والـكتاب دولة إلى دولة ، ومن أقليم إلى آخر ، ولم تستطع الأحد[...] السياسية أن توهن من هذه الروابط أو تفلّ منها ، وإن استط[...] بعضَ الاستطاعة أن تعوق وسائلها ، وتقف تقدمها ؛ عل[...] لا أزعم أن أثر هذه الأحداث لم يكن قوياً ، ولكنى أجيز لنا[...] أن أقول إن هذه الرابطة لم تضعف بالرغم من هذه الحوائل ، صمدت لها حتى اجتاحها الزمن ، وانطلقت الأقطار العربية عقالها فعادت إلى طريقها الأولى ماضية فيها تساير أطوار التا[...] رفعة وضعة ، سنة الله فى الـكائنات جميعها

* * *

ولمصر فى نهضتها العلمية والأدبية الآن يد لا تُجحد الشرق العربى ؛ ففى صحافتها روح قوية توحى بهذه الرابطة الت[...] تنهزم أمام أحداث الزمن ، وفى نتاج بنيها النابهين ، وعلم[...] ومعاهدها وما تخرجـه المطابع من مختلف الـكتب والمؤلفات[...] وما يظفر به القراء فى الأقطار العربية من ثمرات هـذه الجه[...] المشكورة ــ ما يُحِـلّ مصر الـكريمة محـلّ الزعامة الحق[...] المصطفاة ؛ والشرق العربى أحوج ما يكون اليوم إلى توث[...] الروابط بمختلف ألوانها وأشكالها منـه فى آونة أخرى ؛ ف[...] تدافعت هجمات الأحداث عليه من كل جانب ، وما أشده ح[...] يكون كتلة واحدة على دفعها ، وما أهونه عليها حين تتسع ش[...] البين فى روحه وفى تفكيره بين بعضه وبعضه الآخر ؛ وأقول كثير من الاطمئنان إن دعامة هذه الجبهة الشرقية القوية لا تقو[...] إلا على وحـدة فى الثقافة ترتكز على رابطة متينة بين الأقطا[...] العربية وبين مصر الزعيمة

وبعـد ، فلست أقترح رأياً فطيرا لا يدعمه البحث [...] الأخذ والرد بين الأدباء والقامة على هذه الرابطة ؛ ولـكنى أقا[...]

بين يدى هذه العجالة كلاماً يصح أن يكون دعوة الى خطوات تمهيدية لمعالجة هـذا الغرض المنشود ، ويشجعنى على القول أن الأستاذ الزيات فى زيارتى الأخيرة له فى دار (الرسالة) ، قد ارتاح الى ما بسطته من رغبة فى توثيق هذه العُرى الثقافية ، وتمهد أن تقوم الرسالة بالسفارة الأدبية بين أشياع هذه الرابطة

وإيمانى ازداد رسوخا بنجاح هذه الفكرة أو هذه الدعوة ، حين تحـدثت بها إلى أكثر من أخ من إخواننا هنا فى مصر ، وهناك فى سوريا وفى فلسطين ؛ وأعتقد أن الحاجة ماسـة الى زورات علمية يقوم بها شباب مثقفون مؤمنون بفكرة هذه الرابطة الثقافية بين الآونة والأخرى ، لا يكون الغرض منها متعة النفس فحسب ، بل يكون مع هذا اتصال وثيق بين البيئات العلمية والأدبية هنا وهنالك باعداد بحوث تبسط فيها الأحاديث فى الشؤون الاجتماعية والأدبية والعلمية ، وأن تكون من ثم حلقاتٌ فى كل بلد من البلدان العربيـة تضع لها ميثاقا واحدا ينتظم الجهود الثقافية فيها ، مع الحرص على ما للشرق من تقاليـد تفرضها أو تحتمها أوضاع الـكيان القوى ، فقـد أخر الشرق كثيرا هـذا الاقتباس المشوه عن الغرب فى أكثر من ناحية من النواحى التى لا تتفق مع تقاليده وروحه ، وحالت دون أن يكون له لون من ألوان الامتياز الاجتماعى والأدبى والاستقلال العلمى الى حد ما يحفظ كرامته . واتجاه الشباب المثقف فى مختلف الأقطار العربيـة يكاد يكون متأثرا بأوضاع شتى ونواح كثيرة متباينة ، وهـذا يوسع من شقة الخلاف ، ويباعد على الزمن بين ماورثناه من هذه الروابط ؛ ذلك لاختلاف الثقافات ، واختلاف المناهج التى تفرضها هذه الثقافات ؛ وقد يجوز أن يكون مثل هذا فى الشرق العربى لو كانت اللغة غير واحدة ، أو لو كان التاريخ غير واحد ؛ ولـكن الأمة العربية مهما تباعدت سياسياً ، أمةٌ تراثها واحد روحا وتقاليد ؛ فيجب أن يكون اتجاهها واحداً فى الثقافة حتى يظل لها هذا التماسك القوى المتين

فتنظيم هذه الرحلات بين الشباب المثقف وسيلة من الوسائل لتكوين هذه الحلقات الثقافية فى الشرق العربى أو خطوة أولى الى توحيد الاتجاه الثقافى فيه ، وتلى هذه الخطوة مرحلة أخرى تكون بعقد المؤتمرات الأدبية وتناول ما تقترحه هذه الحلقات من اتجاهات قوية فى النهضة الأدبية والاجتماعية ، ووراء هاتين المرحلتين مراحل تقترح ليس هـذا مجال بسطها ؛ وبين يدى الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وشباب مصر المثقف هذه الدعوة ، ولعلنا الى تحقيق هذه الأمنية واصلون

القاهرة — رفيق اللبابيدى

مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك الى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلـكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما الى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأسـتاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

رسائل حاج

٢ — من ربوع الغرب
إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وشعرت وأنا أجتاز دهاليز الأزهر وأستقبل لأول مرة أروقته وحلقات دروسه بنوع من الرهبة والخشوع والتسليم. فهذا المعهد العظيم موئل الاسلام ومعقـله، ومنبع الثقافة الدينية، وحامى حمى اللغة العربية. كان من أسمى أمانى أن أندمج فى سلك طلابه. وكم كنت فى شوق لاهف إلى أن أنهل من ينبوعه الفياض روح الاسلام الحق، وأضيء شمعة معرفتى الخافتة بحيث تتحول إلى شعلة وقادة، وإلى حماسة فائقة داخل جوانحى، وأتعرف إلى شيوخه الذين يقودون العالم الاسلامى بآرائهم وأفكارهم، كما كنت على يقين وثقة أننى بمعاونة هؤلاء العلماء الفطاحل سأمضى فى ترجمتى للقرآن الكريم إلى اللغة المجرية بحيث أجعلها فى متناول آلاف المسلمين من مواطنى

ومع أن هذه الترجمة كانت عملاً شاقاً مضنياً، فانى كنت أحس من أعماق روحى أنها فرض واجب على كمسلم مخلص يريد أن يعلى منار الاسلام ويطمح فى أن يضيف لبنة صغيرة إلى صرحه العظيم

وخيل إلىّ وأنا فى نشوة روحية عميقة أننى بدأت أظفر ببغيتى وأجزى خير الجزاء عن تلك الليالى الطويلة التى لم أذق فيها طعم الكرى، بل أمضيتها منكباً على دراسة الاسلام وتفهم قواعده وأصوله، وأن كل ما حاق بى من مصاعب سيتبدد، وفشلى سيتحول إلى فوز عظيم وانتصار رائع بمعاونة شيوخ الأزهر ومدهم يد المساعدة إلى عملى المتواضع

ولكننى رأيت والأسف يملأ جوانحى أن آمالى تنهار دفعة واحدة بحيث أصبحت عاجزاً عن خدمة الغرض الأسمى الذى خصصت حياتى له. علمت بأن هناك وشاة أوعزوا الشيخ الظواهرى بأننى دخيل أرمى إلى الوقوف على أم الاسلام وإذاعتها فى البيئات العلميـة فى أوربا! وعلى الرغم الظنون والشبهات السيئة التى حامت حولى بذلت جهداً لمقاومتها؛ وكان رائدى فى تلك المقاومة أن الحق على الدوا جانبى، وقد كانت سيرة المرحوم الامام الشيخ محمد وما لقيه من خصومة صماء خفية، وانتصاره على خصومه أ مشجع لى فى الثبات أمام حجة خصومى. وقلت لنفسى: أنت أيها المصلح العظيم لترى كيف ابتعد الأزهر عن مباد العالية، وتجاوز عن رسالتك الرفيعة التى سموت بها الأغراض الوضيعة والمطامع الدينوية والمنافع المادية

وعلى الرغم من جهادى الضعيف فى مقاومة خصوم ما كنت لأستطيع أن أبرهن لفضيلة الشيخ الظواهرى اخلاصى وحبى للدين الحنيف، وأنى لست دخيلا، ولكـ رجل يؤمن من أعماق روحه بالرسالة المحمدية النبيلة، وأريد أحصل على معاونة رجال الأزهر للوقوف على تعاليم الاسلا مع علمى بأن هذه الشريعة السمحاء ليس بها أسرار يمكن اذا فى البيئات العلمية، لأنها ديانة مؤسسة على ثقافة ثابتة مكشـ للعالم لا تميز فيها بين الأجناس والألوان. وليس الأزهر سـ الجامعة الاسـلامية الحق التى تضيء شعلة الحق، فلا أسرار جوانبها يمكن اخفاؤها عن رجل أجنبى مهما كانت صفته. يعاقب الله كل مسلم يرمى أخاه بالشرك والكفر والتشكك عقيدته المقدسة؟ ألا يعاقب أيضاً أولئك الذين لا يقومون بواج الدعاية والارشاد للاسلام، والذين يخفون أسراراً فى قلوبهم يشهد الله أننى لا أرمى من وراء ذلك أن أوجه التهم جزاف لأنى لا أملك هذا الحق، ولكنها صرخة ضعيفة أردت أن أنف بها عن صدرى

إن الأزهر بحسب نظامه الحالى لا يستطيع أن يؤدى ر الاسلام كما يجب. فالنظام الحديث الذى أدخل عليه، والحيلولة د اجتماع الطلاب فى حلقات الدرس كما كانوا قبلا حول شيوخهم مسخ الأزهر وشوهه، وأفسد ما كان قد بقى له من جمال وجلا وحرمة، وأفقده سيطرته الدينية والاجتماعية فى العالم الاسلامى

ك السيطرة التى ظل متمتعاً بها قروناً عدة . ويلوح لى ن البرامج الحديثة لم تقدم الأزهر خطوة واحدة ، لأن شرفين على تنفيذها جعلوا هدفهم الأسمى فتح أبواب العمل فى جوه الطلاب ، وتمكينهم من احتلال الوظائف المدنية دون أن كروا فى تحميلهم ثقافة الاسلام على وجهها الصحيح وارشاد سلمين الى الخير وتفقيههم ، ودعوة غير المسلمين إلى الدخول فى دين لله كما نص على ذلك القرآن الكريم . يجب إذن أن يترك الأزهر يكون جامعة الاسلام الحق ، وأن يعد طلابه لحمل رسالة الحق ، بتهيئتهم للوعظ والارشاد ؛ أما فتح أبواب العمل واحتلال لوظائف المدنية فأشياء ثانوية قد تصرف الأزهر عن الغاية التى أنشىء من أجلها

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من العلماء الجهابذة فى هذا المعهد الاسلامى العظيم فان الضغط أطفأ فى قلوبهم روح المعرفة والتعطش اليها . على أن الاسلام فى عرفى يحتاج إلى حرية كاملة فى البحث والتنقيب والفكر . ولقد ولد الاسلام فى مهد الحريات فيجب أن يظل كذلك ، لأنه يحث على حب الحقائق والصدق والتغلغل فى أعماق المعرفة . وتقدم الأزهر لا يتم بتشييد العمارات المهيبة العظيمة ، وإقامة عمد من الرخام والمرمر ، وصنع مقاعد الدراسة من الاخشاب الثمينة ، وانما يتم بالتمسك بالعروة الوثقى ، وإزالة الصدأ الذى ران على القلوب من التمسك ببعض التقاليد والعقائد الزيفة ، وفى الاجماع على توحيد كلمة الحق ووضع الأنظمة الالهية فى المكان اللائق بها . ألم يقل الله عز وجل : « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » أو كما قال الرسول الكريم « تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

* * *

ولما يئست من معاونة رجال الأزهر قر فى عزمى أن أقوم بدراستى وحدى مستعيناً بمعلم خاص تكرم بتضحية جزء من وقته لتعليمى ، كما ألفيت مساعدة عظيمة من بعض أصدقائى بالقاهرة ، كالأستاذ محمود تيمور الذى يجمع بين ظرف الشباب وطهارة الشيوخ ، والشاب النابه محمد أمين حسونه الذى عرفنى إلى طائفة من أدباء مصر وصحفييها ، وأعارنى مكتبته طيلة إقامتى فى مصر ، والباحث محمد عبد الله عنان الذى يعد حجة فى التاريخ الاسلامى ، والشيخ الوقور عبد الوهاب النجار الذى له أتباع وتلاميذ منتشرون فى أنحاء الأرض ، وقد كان سبباً فى تعرفى بكثير من اخوانى المسلمين ، وكانت كتب توصيته بمثابة مفتاح يفتح أمامى كل باب

* * *

وفى أواخر فبراير زودنى الأستاذ النجار بكتب توصية بمناسبة عزمى على أداء فريضة الحج ؛ وكان له الفضل الأكبر فى تقديمى إلى « بنك مصر » ، ذلك الصرح المالى العظيم الذى يتناول من جملة مشروعاته الاقتصادية تنظيم سبل السفر إلى الأقطار الاسلامية المقدسة . ومما يذكر مع الأسف العميق أن أعمال الحج كانت تقوم بها قبل ذلك شركات ملاحة أوربية لا علم لها بما تتطلبه حاجات الحجاج المسلمين ، فكانت بواخرها تحمل المشروبات الروحية ، وتقدم إلى الركاب الطعام الأوربى ، ولا تكترث بأن تهيء لهم الماء الكافى للوضوء ولا إقامة مصلى يؤدون فيه الفرائض الشرعية

أما « بنك مصر » فقد نظم للحج باخرتين كبيرتين تعدان من أكبر البواخر ، وزودهما بكل ما يحتاج اليه الحجاج من وسائل الراحة والمآكل بحيث يشعر المسافر أنه لم يفارق بلاده . وقد كانت بغيتى أن أستقل إحدى هاتين الباخرتين ، لأنى عددت نفسى مصريا بعد أن شربت من ماء النيل ، ولكنى لم أتمكن وا أسفاه من نيل بغيتى ، فان قانون شركة ملاحة مصر يمنع من نقل الحجاج الأجانب على هذه البواخر ، وعلى الرغم من المجهود الذى قمت به وتوسط العلباوى بك لم أوفق ، واضطررت إلى السفر على إحدى بواخر الشركة الخديوية

وقامت بنا الباخرة باسم الله مجراها تشق برزخ السويس ، فرحت أفكر فى تاريخ ذلك المضيق الذى كان سبباً فى فصل افريقيا عن آسيا ، بل كان فاصلا بين حقبتين من أحقاب التاريخ ؛ ومع أنه قرب مصر من أوربا فقد جعل لمصر مركزاً سياسياً ممتازاً بحيث أصبحت جزءا من أوربا . وبينما أنا غارق فى غمار تلك الأفكار إذ اقترب منى فريق من الحجاج وبدأ التعارف بيننا بسرعة . كان بينهم طبيب هندى تصحبه كريمته ، ولكن لسوء الحظ لم يكن هذا الطبيب يعرف من اللغة العربية حرفا واحدا ، فاضطررنا أثناء السفر إلى التحدث باللغة الانجليزية . وفى

ذات يوم نظر إلى نسخة من القرآن الكريم في يدي ، وهي الطبعة التي تولتها المطبعة الأميرية ، فأعجبها أيما إعجاب ، وطلب إليّ أن أبتاع لحسابه ألف نسخة من هذه الطبعة ليبعث بها إلى الهند إذ لا توجد هناك مصاحف جميلة من هذا النوع

وكان بالباخرة أيضاً حاج مراكشي ، يشغل وظيفة قاض في فاس ، وكان صبوح الوجه ، وقورا ، أميل إلى التزام الصمت ، لكنه ما كاد يسمعني أتحدث بالعربيــة مع أحد الحجاج الأتراك حتى أقبل الينا واشترك في الحديث . ولشد ما أعجبت بتبحر الرجل في العلوم الاسلامية والفقه ، كما أن لباسه الشرقي الفضفاض كان يخلع عليه طابعاً من الرزانة والوقار ؛ أما صاحبنا التركي فكان أحد ضباط الشرطة في دمشق ، وبعد اعتزاله الخدمة آثر أن يبقى في سورية حيث تعلم اللغة العربية ؛ وكان طيلة السفر يشكو من الشكوى من الأنظمة الحديثــة في تركيا وبالأخص ترجمة القرآن وتشويه هذه الترجمة بحيث لا تؤدي المعاني المقصودة ، ويظهر سخطه وتبرمه بالفازي الذي يحول دائما بين المسلمين الأتراك وبين أداء فريضة الحج ، ويرهق كل من أراد الحج بالضرائب الفادحة

من ذلك ترى أننا كنا على ظهر الباخرة من بلاد متباينــة ، ولــكن تجمعنا جامعة الاسلام ، وتؤلف بين قلوبنا وتجعلنا نعيش كأفراد أسرة واحدة . فلما اقترب موعد العشاء أخذنا أماكننا على المائدة ، وكان يخيل الى كل من رآنا أننا في برج بابل ، فكل منا يتكلم بلغة لا يفهمها الآخر ، بيد أننا سوف نصل بعد بضعة أيام إلى جدة وتطأ أقدامنا الأرض المقدسة فنخلع عن أنفسنا تلك الملابس التي تفرق بيننا لنستبدل بها لباس الاحرام الفضفاض بحيث لا يصبح أي فارق بيننا بل نكون سواســية في حضرة رب البيت الكريم

وبعد انتهاء طعام العشاء بقليل صفرت الباخرة صفيراً عالياً فغادرنا المائدة وتهيأنا للوضوء ، ثم صلى كل منا ركعتين قرأ فيهما سورة الاخلاص وقل يا أيها الكافرون

وكان البحر هادئاً والهواء ندياً والنجوم تتألق في القبة الزرقاء ، وراحت الباخرة التي كانت تحمل على ظهرها أكثر من ٧٠٠ حاج تلقي مراسيها بين هتاف الحجاج ودعواتهم الحارة وهكذا ظل الحجاج في هرج ومرج ، فكنت ترى البعض يهتف بقوله : لبيك اللهم لبيك ، والبعض الآخر مستغرقا في صلاته وآخرين صامتين لا يبدون حراكا ، شاخصين بأبصارهم في ذهول نحو الأرض المقدسة التي خرج منها سيد الخلق ورسول رب العالمين

وما كنت بأقل من هؤلاء الحجاج شعوراً بالغبطة والابتهاج ولزمت مكاني خاشعاً راكعاً لا تقوى قدماي على الحركة ، ودقات قلبي تثب في قوة وعنف بينما يردد لساني في خفوت : لبيك اللهم لبيك . ثم انهمرت الدموع من مآقي ولم أملك أن أمنع نفسي من الاسترسال في البكاء . أجل ! أدركت الحق الصحيح ولمست عظمة هذا الدين الحنيف ، وعبثاً حاولت النوم في تلك الليلة بل شرد عقلي واتجهت بتفكيري إلى أعمال الخلفاء ، رضوان الله عليهم ، وإلى رعايتهم الأمم الاسلامية ، وتوزيع أسباب العدالة عليهم طبقاً لأصول الشريعة السمحاء

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

رثـــاء

محمود چلبى الشهبندر أحد سراة العراق

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

…مت الآمال من بعد محمود … فياسلوتى شحّى و ياعبرتى جودى
…جتثَّ روحٌ كان قبل اجتثاثه … يزين بأثمارٍ له ألفَ أملود
…القصرُ ممن كان للقصر مالئاً … كأن لم يكن فى رُدهتيه بموجود
…غمدوا السيفَ الصقيلَ بحفرة … و ياليت ذاك السيف ليس بمغمود
…د من جسم تضيق حدودُه … يجوب فضاء واسعاً غير محدود
…لىّ الناعى فكان نعيُّه … كصاعقة أو مثل صدمة جلمود
…ركنى يومٌ من الدهر أسودٌ … فكان لحزنى شرَّ أيامىَ السود

— ٢ —

…غاب محمودٌ عن الصحب مضطراً … ولم يبق منه للصديق سوى الذكرى
…أن لم يكن قد سُرّ أصحابُه به … ولا هو فى يومٍ بأصحابه سُرّا
…بك لا تَلحُ الحزينَ على البكا … فإنك لا تدرى بما فيه قد أورى
…ول عيونى للسحابة أقلعى … فإنكِ لا تبكين من كبِدٍ حَرّى
…ل كل قبر مقلةٌ ذات عبرة … وماذا انتفاع القبر بالمقلة العَبرى
…ممتُ بكاء الشعر بينى و بينه … فأعطيته شطراً وأبقيتُ لى شطرا
…لا تقترح قولاً على الشعر إنه … بموقفه فى يوم محنته أدرى

— ٣ —

…لد ظلّ للموت الزؤام يجاذب … إلى أن علاه الموتُ والموتُ غالب
…طال الردى همساً بأذن مريضة … كأن له ديناً فجاء يطالب
…لو حزتُ علماً بالمقادير جئتُها … أؤنّبها فيما أتت وأعاتب
…يقولون أمراض به أغرت الردى … وما هى أمراضٌ ولكن نوائب
فيا دمعُ أنت اليوم كالقلب نابضٌ … و ياقلب أنت اليوم كالدمع ذائب
لقد ندبته نسوةٌ حول نعشه … وأشجِ بما كانت تقول النوادب
إذا انطفأ النجمُ الذى كان ساطعاً … فليس ببدعٍ أن تسود الغياهب

— ٤ —

أمحمودُ كنتَ الراجحَ العقلِ والخلق … من الباطل الخدّاع تفزع للحق
وكنتَ كنجم لاقرار لسيره … فتطلع من أفق وتغرب فى أفق
وكان لموتٍ قد أصابك سهمُه … دوىٌّ بغرب الأرض أجمعَ والشرق
ولا رُزء إلّا كان رتقٌ لشقه … وليس لشقٍ يفتق الموت من رتق
مضى بصديقى الحرّ يستعجل الردى … فليت الردى للحر قد كان يستبقى
بكتك عيون العارفيك بأدمع … تفيض وللأرض التى ظمئت تسقى
تجنبتَ ضوضاء السياسة آخذاً … بأيديك أسبابَ التجارة فى حذق

— ٥ —

حياةٌ ومن بعد الحياة مماتُ … وجمعٌ على الأعقاب منه شتات
وهل تغسل القلبَ الحزينَ من الأسى … إذا العين منها انصبّت العبرات
وإن أثقلت نفسَ الوفىّ فجيعةٌ … فلا النورُ يُسليها ولا الظلمات
أقول لقومى إن يكن عندكم لمن … تَفَجَّعَ سلوىً فى المصاب فهاتوا
وما أجمَلَ الأيامَ إمّا لنا وفت … ولكنها الأيامُ منتقلات
لقد حملوا نعشَ الفقيد لقبره … فساروا وسارت خلفه السروات
فما كنت من تلك الجماهير سامعاً … سوى صرخات بينها شهقات

— ٦ —

على الأرض أمجادٌ كثير قصورُها … وأكثر منها فى العراء قبورها
وما من بقاعٍ ليس يهلك أهلُها … ولا من سماء ليس تردى نسورها
وما خيرُ دنيا بالزلازل أرضُها … تميد وبالأمواج تغلى بحورها
إن الجسمُ أودى فالبوارُ نصيبُه … ولكنما الأرواح ماذا مصيرها
إذا ما حياةُ المرء للمرء فارقت … فهل من حياة غيرها يستعيرها
وليس لنفسٍ أن تخيّرَ حمامَها … ولا هو إمّا زارها يستشيرها
إذا النفس دبّ الداء فيها فعالجت … منيّتها ماذا يكون شعورها

— ٧ —

هل الحزنُ إلّا مقلةٌ تتفجّر … وإلّا قلوبٌ نارُها تتسعّر
تبعثر شمل البيت بعد اجتماعه … وأىّ جميع عَوَضُ لا يتبعثر
وأجساد موتى فى القبور تأسّرت … وأرواح موتى للبقاء تحرّر
على أن موتى السابقين إلى الردى … حياةٌ لأبناء لهم قد تأخّروا
ولم يك يوماً للطبيعة غايةٌ … سوى النوع إن النوع أبقى وأثمر
لقد عرف الإنسانُ منها ظواهراً … ولم يدرِ ماذا فى البواطن مُضمر

إذا مات طفل البيت فالخطبُ فادح
وإن مات ربُّ البيت فالخطب أكبر

— ٨ —

لقد جاء ماقد كان يبنيه ذا حسن ... فما تمّ حتى قام يهدم ما يبني
حزنتُ وما حزني سوى ابن رزيئةٍ ... وما دمعتي في العين إلا ابنة الحزن
وما أحدٌ في الناس يدري مصيرَه ... ومن كان لا يدري فيفزع للظن
لقد زيّنت بالزهر قبرَك صحبةٌ ... وعن كل هذا الزهر قبرك مستغن
يخال الفتى علماً له بحقائق ... ولم ينتبه أن الحقائق في الذهن
وليست حياة المرء بعد مشيبه ... وإن قل شكواه سوى التعب المُضني
سمعتُ أحاديثاً وإني لمبدلٌ ... لما نظرت عيني بما سمعت أذني

(بغداد) **جميل صدقي الزهاوي**

نذالة التعاسة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

كدت أنسى دواعيَ الرفق مما ... قد أرتني نذالة التعساء
يقضمون اليد التي تنتحيهم ... بسخاء ونجدة وإخاء
ويكيدون في الخفاء أو الجهـ ... ـرة ألّمْ بجهرهم والخفاء
عشش اللؤم حينما عشش البؤ ... س سوى في القليل من كرماء
ليس بِدْعاً أليس ما نغص العيـ ... ـش من البؤس باعث الشحناء
كل قلب يبيت من حسك البؤ ... س ملئٌ بخسة الأدنياء
يتلظى شراً ويرشح غدراً ... ويداجي خوناً بثوب رياء
يلؤم المرء وهو غير شقي ... كيف ينأى عن لؤمه في الشقاء
ليزيدنّه اغتيالا وحقدا ... واقتراساً على حطام الرخاء
وسُعاراً لو أنه نال من أر ... ض لجُنّتْ زلازل الغبراء
وهو غلٌّ لو حاق بالشمس أمسى ... مثل ذر الرماد وجه ذُكاء
ليس شر البأساء قصراً على النحـ ... ـس ولكن كم أشعلت من عداء
وحقود وخسة وسعار ... واغتيال ومكرة ورياء
تفسد الأنفس الكرائم حتى ... تقتدي مثل أنفس اللؤماء
ضاع عطف الرحيم إذ ضاع حسن الـ ... ـخلق في خيم أنفس التعساء
وعظيمٌ ما أفسد النحس من خلـ ... ـق هضيم ورحمة الرحماء
كم شقاء يمضي وفي النفس منه ... أثر واضح لغير فناء
من عوادي سخائم لست تدري ... هي بالمرء علة الأدواء
أم هي النفس سقمها مثل سقم الـ ... ـجسم من إحنة ومن شحناء
مثل ذل الشعوب خَلّف لؤما ... بعد فوت من عهده وانتهاء
وصفات الشعب الضعيف لتُلْفَى ... في جسوم صحيحة أقوياء
من رياء وإحنة واحتيال ... وتعادي تخاذل وافتراء
شيم يدرأ الذليل بها من ... عجزه سطوة من الأعداء
أصبحت شيمة النفوس وإن لم ... يك ذل ولم يكن من عداء
فمتى يلبس الخلائق طرا ... طيب نفس في شملة النعماء
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ ... ـناس طرا من خسة الغبراء
فاطلبنْه فيها وإلا فدع نشـ ... ـدان أمر بغير داعي الرجاء

عبد الرحمن شكري

الأمة العربية

بقلم حبيب عوض الفيومي

قد أصبحت وطعامها جرّاتها ... وتعرّفت لعليها نكراتها
مبذولةً حُرُماتها مفتوحةً ... أسدادها ملحوظةً غِرّاتها
غلبت مطامعها على أخلاقها ... فهوت بها أحقادها وتِرَاتها
فتخالفت من حقدها غاياتها ... وتشابهت من موتها فتراتها
فكأن خالد لم يَفُزْ بدمشقها ... يوماً ولا خَدَمَ الرشيدَ فُراتها
يا مُخْفِقَ الأسفار طَيّاراً بها ... قد أنجحت بك آنفاً بَكَراتها
نَهَضَت بنفسك فارساً أخلاقُها ... وهوَت بنفسك طائراً عَثَراتها
انظر لنفسك أين موضع فضلها ... لا تلفحنّك جامحاً جمراتها
ما بالغِنَى فتح البلادَ محمدٌ ... بل بالهُدى دانت له داراتها
ينجو الكريم مَعَ القليل صيانةً ... وتُميتُ صاحبَ حاجةٍ حسراتها
وكأنّ ذلكم البريقَ غِشاوةٌ ... للنفس تكمُنُ تحته عثراتها
ومن الدليل على شقاوة أمةٍ ... أن يستنيم إلى النعيم سَراتُها
والأرضُ دارٌ إن تفاضل أهلُها ... بغنى البطون فخيرُهم حشراتها

الفيوم **حبيب عوض الفيومي**

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٢٠ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

لا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه فحسب ، ليكن قاسياً على الآخرين أيضاً لا يحفل بهدوء ولا بسلام ؛ هو يدرك أن الانسانية لا تنشط نحو غاية معينة معلومة ؛ ولـكنه يرى كل شيء فى استحالة وتطور ؛ يرى من واجب الحياة نفسها أن تعمل على أن تفوق نفسها ، ويدرك أن الانسان ليس من حقه أن يمل نفسه بأنه بلغ المرفأ سالماً . ليكن كل سلام عنده ذريعة لحرب جديدة ، ولتكن حياته طافحة بالحوادث العظام ؛ هو لا يتحرى عن السعادة ولا يجهل أن الفرح والحزن هما توأمان متقارنان . وفى استطاعة الانسان أن يجوز الحياة بدون فرح كبير يعروه ، أو شقاء كبير يغزوه ، على أن ينقص من قوة حيويته . أما الذى يريد أن يتذوق الأفراح الـكبيرة فمن واجبه أن يعرف الأحزان الـكبيرة ، إذ كل ارتجاج فى ناحية يقابله ارتجاج فى ناحية أخرى . « أما خالق القيم المؤمن بالحياة ، من يريد الحياة عنيفة قوية ما شاءت القوة ، فهو يريد أن تـكون الارتجاجات واسعة حول نقطة الموازنة ؛ يريد أن يعرف القمم العالية للسعادة والشقاء . يريد أن يعرف الانتصارات المسكرة والهزائم الشنيعة . يجب عليه أن عشى فى وقت واحد إلى النصر والى الاندثار . وزرادشت ذاته قد هلك حين بلغ « قمة » وجوده . والسوبرمان هو – فى وقت واحد – الظفر اللامع والاندثار القوى للانسان

وبينا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يلتوى إزاء الألم ، ينبغى له كذلك أن يكون قاسياً على الآخرين ؛ هنالك مصائب وآلام يعد تخفيفها فاقداً للانسانية ، وهنالك منحطون ناقصون ، جاءوا الحياة اختلاساً ، فلا يجوز تأخير فنائهم !

يقول زرادشت : « فى كل مكان ترن أصوات الذين يعظون بالموت ، والأرض مفعمة بالذين يجب أن يوعظوا بالموت ، أو « بالحياة الأبدية » حتى يقلعوا عن الحياة سراعاً . وللمتشائمين والشكوكيين والمنحطين الذين يئنون ويقولون «ما الحياة إلا شقاء» ، لهؤلاء يجب أن يقول العاقل « إذن ! ضعوا لحياتكم وآلامكم حداً تنتهى عنده حياتكم وآلامكم ، ولتكن شريعتكم مبنية على هذه الـكلمة « الانتحار واجب ، والانهزام من الحياة واجب » ، إذ لا ينبغى للأرض أن تغـدو داراً آهلة بالمرضى واليائسين ، حيث يفنى الانسان الخالص الجوهر سأماً وشفقة . إذا أردنا أن نستنقذ السلالات الآتية من مشاهد الفاقة والشناعة فلنترك الموت ينزل بمن هو ناضج للموت . ولتكن فينا جرأة على ألا نصرف الساقطين عن السقوط ؛ لندفعهم ولنقذف بهم قذفاً حتى يهووا سريعاً . ينبغى للعاقل أن يعرف كيف يتحمل مشهد الألم عند الآخرين ، وأن يعرف كيف « يؤلم » ويبث الألم دون أن تجد الشفقة إلى قلبه سبيلا

هذا هو ما تطلبه النفس العظيمة . يقول زرادشت : « أبالغ أنت شيئاً عظيما إذا لم تشعر بقوتك وارادتك التى تعاقب بآلام كبيرة . عرفانك أن تتألم ، هذا شيء حقير ؛ فالنساء الضعيفات والعبيد يصبحون أسياداً فى فن الألم . ولـكن ثبات جأشك وعدم انحنائك أمام المصائب المؤلمة والصيحات المؤلمة ، هذان هما مظهر العظمة وسرها الصريح »

ينبغى للعاقل أن يتميف – فى كل فصول حياته – بطهارة الطفل اللاعب ، وصفاء الراقص الباسم ، وهناء اللاعب المجدود ، وفى مثل « الاستحالات الثلاثة للروح » ينبئ زرادشت بأن النفس الانسانية يجب أن تكون فى استحالتها الأولى « بعيراً » يحتمل بصبر أثقل الأعباء على ظهره ، حتى يستطيع أن يجمع الشيء الـكثير من التجارب ، ثم يستحيل « البعير أسداً » يجأر قائلا : « أنا أريد ! » ويتوعـد بمخالبه الحادة كل من يحاول العبث بحريته . يجب عليه أن ينتصر على تنين الشريعة المـكتوب على كل جزء من جسده بأحرف ملتهبة « يجب عليك ! » ثم يسرع فى نزع أثقال المثل الأعلى والحقيقة والخير عن ظهره

مما كان يظن حمله خيرا له ، وأخيراً ، لكي يستطيع أن يدخل في دور « الانتاج والابداع للقيم الجديدة » بعد تهديم القيم القديمة ، يجب عليه أن يستحيل طفلا يلهو ويلعب ؛ « إن الطفل هو صفاء ونسيان ، هو ابتداء ، هو لعبة ، هو دولاب يدور بنفسه حول نفسه » . وهكذا يجب على النفس التي تتوق إلى الصعود فوق قمم الحكمة أن تتعلم أن تلعب ، وأن تفرح وتمرح طاهرة صافية ، يجب أن تكون خفيفة غير واعية تنعتق من التشاؤم والكآبة ، ومن كل ما يجعل حياتها سحابة دكناء

تقول الشريعة القديمة : « ويل لمن يضحك » ؛ وهذا القول عند زرادشت منكر قبيح . أما العاقل فيجب عليه أن يضحك الضحكة الآلهية ؛ يجب أن يدنو من محجته وغايته بخطوات خفيفة راقصة طائرة ، لا بليدة نادمة ؛ إنه يتعزى بالضحك عن نقصه ؛ إنه بالرقص والطيران يجوز مستنقعات الكآبة كالرياح العاصفة . يجب على الانسان أن يتعلم الرقص بنفسه والضحك بنفسه وأن يرتفع وأن يسمو فوق نفسه ، وأن تفوق نفسُه نفسَه على أجنحة الضحك والرقص

يقول زرادشت : « إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ضفرته أنا على رأسي ، وأنا قدست ضحكتي المرحة . إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ألقي به اليكم يا رفاق ! أنا أقدس الضحك أيها الرجال السامون ، فتعلموا أن تضحكوا »

— ٣ —

« إن من كان مثلي مدفوعاً بشوق غريب للتأمل في مذهب التشاؤم إلى أقصى حد ، قد يكون — من حيث لا يريد بذاته — فاتحاً عينيه على المثل الأعلى للرجل الحي الطروب المبتهج بالحياة الذي لم يتعلم أن يتحمل الماضي والحاضر فحسب ، بل يعمل على إحيائهما معاً ، مهما كان الماضي ومهما ذهب المستقبل . » ولعل هذا التشاؤم المبطن عمقه بالتفاؤل هو الذي حدا بنيتشه إلى أن يطلب الحياة لنفسه ، ولهذه الرواية الانسانية الشاملة الكاملة ، وللوجود الذي يقوم بتمثيل هذه الرواية

في شهر أغسطس من عام ١٨٨١ هبت في رأس نيتشه فكرة القول بالرجعة الخالدة التي أصبحت أساس فلسفة السوبرمان ، وما لبثت هذه الفكرة أن ملكت عليه مشاعره كلها . وقد تتلخص هذه الفكرة في هذه الكلمة : إن شحنة القوى التي تهيمن على ال تتراءى لنا ثابتة سرمدية ؛ لا نقدر على أن نفترض لها نقه لأنها لو كانت كذلك لوجب زوالها في هذا الدهر الطويل ولا نقدر على أن نفترض لها نمواً — كالنمو العضوي الذي نعرفه إذ لو كانت كذلك لافتقر نموها إلى غذاء ؛ وما هو هذا الغذ أو هذا الوقود ؟ وعلى هذا لم يبق لدينا إلا الاعتقاد برسوخ هـ القوى وثباتها

(يتبع) خليل هنداوي

القصص

مأساة من اسخيلوس

أجاممنـــــون

للأستاذ دريني خشبة

« ولد اسخيلوس سنة ٥٢٥ ق . م . وعاش سبعاً وستين سنة ، وحارب في موقعة ماراثون ، وكتب تسعين درامة لم يبق منها غير سبع . وكان يكتب درامات ثلاثية Trilogy أي تتركب الواحدة منها من ثلاث درامات — أو قل فصول — تستقل كل منها بنفسها ، وتكون مع الأخريين وحدة رائعة . وكانت مآسي أسخيلوس غرة في جبين عصر بركليس ، أزهى عصور الأدب في التاريخ القديم ؛ ودرامة اليوم (أجاممنون) هي الحلقة الأولى — أو الفصل الأول — من إحدى ثلاثيات إسخيلوس (الأورستية) نسبة إلى بطل المأساتين الأخريين (أورست) (١) بن أجاممنون وضحية الأمومة الآثمة ، ويعدها نقاد الأدب الكلاسيكي أروع طرف الأدب اليوناني

« وإسخيلوس هو أول من سار بتقاليد المسرح القديمة ، بل ربما كان واضع أول لبنة في المسرح القديم . وقد كانت الدرامة — أو المأساة — قبله غير معروفة ، وكانت القامة (Cantata) هي المتداولة ، وكان القصاصون يقومون بتأدية الأدوار جميعاً . فلما كان اسخيلوس حتم أن يخصص لكل دور ممثل بعينه ، والمنشدون أو (الخورس) لهم مكانة رفيعة في درامتي اسخيلوس وسوفوكليس ، وأناشيدهم هي شرح للاحداث التي تمهد للدرامة أو تتصل بها . »

— ١ —

نحن في ا (بلوبيديه) ، ذلك القصر المتبق الشاهق ، الذي تكتنفه الأسرار ، وتهوم في أبهائه وردهاته الألغاز . . .

ومن ا (بيلوبيديه) تصدر الأوامر ، فتصدع بها مملكة آرجوس . . . وتُجيّش الجيوش ، وتتحرك الأساطيل . . . وتسيل الدماء أنهاراً !

ومن هـذا القصر ، يحكم الملكان الشقيقان أجاممنون ، ومنالايوس . . . أما أولهما فقد تزوج من الفتاة الكاسرة ، ذات الصولة ، كليتمنسترا ، بطلة المأساة التي نحن بصددها الآن . . . وأما ثانيهما ، فقد تزوج من الفتاة اللينة الغضة ؛ المترعة بالفاتن ، هيلين ! التي فرت مع عشيقها المجرم باريس . . إلى . . طروادة ؟ . . والتي شبت بسببها تلك الحروب الطويلة المروعة فذهبت بالنخبة الناضرة من شباب هيلاس واليوم . . .

والفتاتان شقيقتان ، وقد تبناهما تنداريوس العظيم ، وزوجهما من هـذين الملكين الشقيين ، ليزيدا في شقائهما ، وليكونا حرباً عليهما وعلى شعبهما البائس لا تنتهي ! وليكونا كذلك ، ليلاً على هذا القصر العتيق الشاهق — ا (بيلوبيديه) مظلماً . . . لا تنجاب غواشيه . . . ولا تنقشع دياجيره ! !

— ٢ —

وفرت هيلين الآبقة ، مع باريس الآثم ! . . . فهاجت هيلاس ، وهبت ريح الحرب ، وتدفقت الجيوش إلى أوليس حيث الأساطيل في انتظارها ، لتمخر بها البحر الايجي إلى مدينة بريام . . .

وودع أجاممنون زوجته . . . وذرفا ، وهما يتعانقان ، دموعاً حارة سخينة ! وانطلق مع شقيقه الملك البائس المفضوح في عرضه ، منالايوس ، إلى أوليس . . . ليركبا مع بقية الجند . . . وليبحرا إلى اليوم . . .

بيد أن البحر المضطرب كان ينذر بتحطيم الأسطول إذا هم أن يقلع .

والعاصفة التي أطلق بوسيدون[(١)] عنانها كانت تثير في اليم موجاً كالجبال . . . وكانت تراوح الشاطئ المرجف وتغاديه ، فتهيل التراب وتسفيه ، وتحط صخره من عل ، وتغرق به ما تهاوى عليه من أسطول هيلاس . . .

وانتظروا طويلاً حتى تسكن العاصفة ، ويهدأ البحر

---

(١) آثرنا هذه التسمية لسهولتها ولأننا مضطرون لتكرارها كثيراً في الدرامتين التاليتين والاسم الحقيقي هو (أورستيس)

(١) إله البحر

المصطخب ... ولكن ... بلا جدوى !

ثم قيل لهم إن الآلهة عطشى ، وأرباب الأولمب ظماء ، وإنها لا يرويها إلا دم عزيز غال يسفح ، ومهجة شابة غيداء تطل ، وإن الآلهة لا ترضى باحدى ابنتى أجاممنون بديلا !!

لا ترضى الآلهة أن يسفك دم إلا دم إفجنيا العذراء ، أو أختها الكاعب إفياناسا ، فاذا لم ترو الآلهة فلن تهدأ العاصفة ، وإن يسكن العباب ، ولن يفتأ البحر يضطرب ، ولن يقلع هذا الأسطول اللجب

وتردد أجاممنون ! واضطرم قلبه بحنان الأبوة ! ولكن القادة تكبكبوا حوله يلحفون عليه أن يصغى إلى وحى السماء ، ويستجيب لأمر الآلهة ... فقبل ... وبكى ...

— ٣ —

وجيء بالعذراء البريئة إفجنيا ، ليحتفل بخطبتها إلى أخيل فيما ادعى الوالد المحزون فى رسالته إلى زوجه ...

ولكن الزوجة تكتشف أن لا خطبة هناك ... بل هناك قتلة شنيعة تنتظر ابنتها ... لا لشيء ... إلا أن تروى الآلهة ... كما أرجف المرجفون !

وتصبح أضواء الحياة كلها ظلمات فى عينى الأم ... وتحاول إنقاذ الفتاة ... ولكن ... عبثاً ! ... لقد تقدمت إفجنيا الى الكاهن الجلاد بقدم ثابتة ، وجأش رابط ، ونفس مطمئنة ... وأعلنت أنها تهب نفسها للوطن ... ! ودمها للآلهة ... وأنها تستودع الأولمب أباها ... وأمها ! ...

وأهوى الجلاد ... الكاهن ... بسكينه ... فهريق الدم العزيز الغالى ! !

— ٤ —

وعادت الأم المضعضعة إلى القصر الشاهق العتيق ... الى ال (بيلوبيديه) ... تجتر هذه الصدمة الدامية ، وتنص بتلك الداهية الحمراء !

وتحزن أياماً ...

ويشمل السواد كل شيء ... حتى أضواء الشمس ، وأفواف الزهر ، وآراد القمر ! !

كل شيء أسود حالك ... لا سيما ... قلب الملكة ... !

لقد انفردت فى هذا القصر العتيق ، فهى صاحبة الأمر والنهى فيه ، وكل شيء يصدر عن إذنها ويقضى بأمرها ... والملكة بأسرها بيديها ... ومع ذاك ... ومع كل ذاك ... فليس فى الدنيا العريضة ما ينسيها الجفيا ! أو يمد عن عينيها ذلك المنظر الرائع الرهيب ... منظر السكين اللامعة تهوى على عنق الفتاة ... !

إنها أمامها أنى ذهبت وأيان وجهت . . .

ها هى ذى تمرح فى هذه الغيضة من حدائق القصر . . . وتلعب فى تلك الردهة من الطابق العلوى . . . وتغرق فى هذه اللجة من ديباج السرير . . . وتداعب الظباء فى الحظيرة . . . وتضفر أعواد الزنبق للتماثيل . . . وتنثر الورود والرياحين تحت أقدام الدمى ... ثم ... ...

ثم ها هى مسجاة فوق المذبح يتفجر من غلاصمها الدم ! !

— ٥ —

وسكنت العاصفة ، وهدأ البحر الجياش ، وأقلع الأسطول عن عليه ... وحوصرت طروادة ... وقتل الأبطال الصناديد من الفريقين ...

وكرت أعوام عشرة . . .

— ٦ —

« كيف يقتل ابنتى هذا الملك الذى قد قلبه من صخر كيف سولت له نفسه أن يأذن لجلاديه بذبحها ؟ أين حنان الوالد ؟ قربان للسماء ؟ أى سماء هذه التى تشره لدماء العذارى لا ظفر أجاممنون بأعدائه ! ولا حمله البحر إلى آرجوس كرة أخرى ! وروى ثرى طروادة من دمه ، كما رويت آلهته من دم ابنتى ! ! »

ووقر فى قلب كليتمنسترا أن تثأر لابنتها ... ولكن ... ممن ؟ من أجاممنون ... من أبيها أجاممنون ... ! إذن ... فلتدبر غيلته فى هذه السنين العشر ، ولتحشد حولها أعداء هذا القصر العتيق الباذخ ... ولتحتشد الأحقاد القديمة ، والترات التى تتقلب فى أحشاء الماضى ... ولتجتمع عصابة الشرور فتدبر وتتآمر ...

— ٧ —

ترك أتريوس ملك أرجوليس المتيد لولديه ، أجاممنون وأخيه ، وترك لهما كذلك إرثاً عتيداً من الدم لم يسمع الناس بمثله ... لن يسمعوا بمثله ... لأنه دم أعز الأبناء ... وشوا لعين أبيهما شواء ...

ذلك أنه كان للملك أتريوس أخ يناوئه من أجل عرش أرجوليس وما يتاخمها من الاقطاعات ... وكان هـذا الأخ (ثيذتيس) يحاول أن يجعل الملك فى أبنائه ... من دون أبناء أخيه ... ولـكن أتريوس وقف على التدبير السيء الذى يرسم خططه أخوه فى الظلام ؛ فما كان من أتريوس إلا أن دبر هو تدبيرا دمويا هائلا ... قضى به على أخيه وعلى أبناء أخيه ... إلا واحداً !

تودد إلى أخيه أياما ، وعاتبه فى هذه الجفوة التى لا يكون مثلها بين أخوين ، فأعتبه ... ثم دعاه الى وليمة فاخرة يقيمها له فى اا(بيلوبيديه) ... فقبل ثيذتيس !

وفى اليوم المحدد ... وبعد تدبير أحكمت حلقاته ... أقبل ثيذتيس ليؤا كل أخاه ، وليتصافح القلبان اللذان ينطوى كل منهما لصاحبه على الحب ... وأصرم الغل والحقد ...

وحان موعد الغداء ...

فنهضا الى خوان عامر حافل بما لذ وطاب من لحم يملأ قتاره الخياشيم الجائعة ، ويسيل لعاب الأفواه الملمظة ...

وجلس ثيذتيس المنهوم فأكل حتى امتلأ ... وما كاد ينتهى حتى كشف له الغطاء عن تلك الفيلة القاسية ، التى يتنزه عنها أضرى الوحوش ! !

لقد أكل ثيذتيس حتى امتلأ من الشواء الفاخر الذى أعد له من لحم أبنائه ... وأكبادهم وقلوبهم ... وها هى الأصابع والأيدى والرؤوس والأقدام فى سفط كبير على مقربة من الوالد البائس ... شهيد على ذلك ! !

وجن جنون الأب المسكين !

ولـكنه عوجل هو الآخر بقاصمة الظهر ... فذهبت روحه تتردى فى ظلمات هيدز !

فيا للوحشية ... وويل للمتوحشين ! ! !

— ٨ —

وكان إيجستوس يتقلب على وجهه فى البلاد

فلما علم بالمأساة التى ذهبت بأخوته ، وبأبيه ... شرد فى الأدغال ، ونفر فى التيه الذى لا أول له ولا آخر من غاب هيلاس وأنس الى الوحشة ، وسمر الى الذئاب ، وصحب اللصوص وقطاع الطرق ... وتلبث حتى اشتد ساعده ، واشتد عوده ... وعاد مستخفياً يدبر أمر هذا الثأر الثقيل ، ويرسم الخطط لهذا الهم المطاول ...

ولـكن ... لقد مات أتريوس ... وحكم من بعده ابناه أجاممنون ومنالايوس ... وها اليوم تحت أسوار طروادة يصطرعان مع الطرواديين

فهل تزر وازرة وزر أخرى ؟

أجل ! ! (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ... فليتقوا الله ! !)

إيجستوس ! هذه فرصتك فلا تفلتها ! !

— ٩ —

واتصل إيجستوس بالقصر ، وتأكدت بينه وبين كليتمنسترا أواصر الود أولا ؛ ثم انقلب الود واتحاد القصد وبغض أجاممنون وأسرة اا (أتريديه) فصارت غراما أثيما وعشقا فاسقاً ولذاذة مجرمة وعمى قلب الأم ... وحجبت الغواية بصيرتها ؛ فنفت ولديها[1] : أورست الغلام الحدث ، وإفيانا سا الفتاة الناعسة بعيـدا عنها ، لتزداد إغراقا فى اللذة ، ولينام ضميرها المبت فلا يوقظه هذا النسل البرىء من صلب أجاممنون ! !

— ١٠ —

العاصفة تهب بشـدة[2] ، والحارس المتعب يلفحه البرد القارس فوق سطح القصر الملكي العتيق ، اا (بيلوبيديه) ، والليل الرهيب ينظر الى القصر الفائض بالأسرار بعين قلقة من تلك النجوم الحمالقة ؛ وسنوات عشر قد تصرمت ، وهذا الحارس المسكين فى مكانه من هذا الميدان الملق بين الأرض والسماء ... أجل عشر سنين طوال كأنها عشر أحقاب كاملة ، وهو يروح ويجيء كأنه آلة الزمن ، أو قوس من دائرة الفلك .. وهو يشكو ، ويحاول أن يتسلى بأغنية أو صفير ، ولـكن الأسرار الهائلة التى يعج بها القصر من تحته تفزعه ، فيمزق عن الغناء وعن الصفير ... ويصل شكواه ، ويرسل بثه

وهو هناك فوق سطح القصر الملكى منذ قيام تلك الحملة المشئومة الى طروادة ... وهو الى هذه الليلة يرقب النيران التى إذا تأججت فى رؤوس الجبال كانت بشرى سقوط طروادة !

وأومض البرق فى الظلماء فجأة ! ... واندلعت النيران المنشودة ! واستطار الحارس من الفرح ؛ وفرك عينيه ليستيقن

(١) يتناول سوفوكليس هذا الحدث من وجهة نظر ثانية ورأى آخر سنعرض لها فى حينهما إن شاء الله

(٢) من هنا تبتدئ درامة اسخيلوس

أنه ليس فى حلم . . . ولكن النار تندلع وتتـدلع . . . إذن انتصرت جيوش ميلاس ... وسقطت مدينة بريام !

وأى بأس فى أن ينطلق هذا الحارس المسكين فيزف البشرى إلى الملكة ... لا بأس ! ولكنه ما يكاد يخطو خطوة واحدة ، مفترا فى ظلمات الليل البهيم عن ابتسامة الجـذل ، حتى يذكر الأسرار الهائلة التى نسجتها عناكب القدر فى القصر ... فتنقلب ابتسامته الجذلة إلى عبوسة قاتمة ... فيقف مكانه ويصمت ! !

— ١١ —

ويدخل المنشدون حديقة القصر ، ويهزجون بنشيد طويل حلو (١) ثم تقبل الملكة فيتقدم إليها رئيس الخورس محييا ويتساءل : « هل من نبأ عن الحملة يثلج الصدر المكروب ويبهج النفس المحزونة ؟ » وتبتسم الملكة ابتسامة خبيثة صفراء ، ثم تزف بشرى انتصار الميلانيين

— « وكيف ؟ لا نصـدق ! ولكن تكلمى ... تكلمى أيتها الملكة ! »

— « اليوم فى قبضة رجالنا ! هل أراك فهمت ؟ »

— « إنها مفاجأة تملأ أعيننا دموعاً ... »

— « وإنها دموع تؤكد إخلاصكم وطهارة قلوبكم »

— « ولكن هل من برهان أيتها الملكة ؟ »

— « ما لم يكن بعض الآلهة يخدعنى ! »

— « ألا تكونين قد استسلمت لغفوة لذيذة فشهدت رؤيا طارئة ؟ »

— « إن أوهام المنام لم تخدعنى قط ! »

— « إذن منذ كم سقطت طروادة ؟ »

— « فى نفس هذه الليلة التى كاد صبحها يتنفس ؟ »

— « وأى رسول حمل إليك النبأ فى مثل هذه السرعة ؟ »

— « النار الآلهية ألمت به إلى هنا من ذروة جبل إيدا ... وهشيم الخلنج المتأجج فى شعاف الجبال ورؤوس الآكام ... »

واستطردت كليتمنسترا فذكرت كيف أشعل الميلانيون النيران فى قلل الشاطئ الأسيوى ، ثم كيف تنقل الوميض فى السموات حتى عكسه أفق أرجوليس ... وطفقت تحشد الكنايات فى حديثها ، وتنثر الألغاز فى ثناياه ... صادرةً عن غله القيم وحقدها القديم على أجا ممنون !

— « بالظنين النصر فى طروادة اليوم ؟ ... ... أحسب ألا يستطيع أحد أن يميز صيحات السادة الظافرين من صيحات العبيد المقهورين بين جدرانها ! إنهم سواء منكودو الحظ ، سو الجدود ، حقيقون بالرثاء ! ومن يدرى ؟ فلعل الآلهة تنتصر فتنتقم ممن دنس هياكلها ، وسطا على طُرفها وتحفها بجها فى جملة الغنائم والأسلاب ! ... ولعل أرواح الضحايا (ا والشهداء تهب من مراقدها مغضبةً حانقة فتقف فى سبي الأبطال الظافرين فلا يعودون إلى أوطانهم ! ... ولكن فلما حق ... دون أن ترتكب ألف مذمة باسمه ! ... »

— ١٢ —

ويفطن الخورس إلى ما كان يتناثر فى حديث الملكة ألغاز ، ويفطنون إلى هذا الفتور وذلك الضيق اللذين كانت تز فى ظلالهما بشرى سقوط طروادة ... فيعزونه إلى أسبابه ال بانت لا تخفى على أحد فى الملكة ... ثم يتشككون فى كل ما انطل به لسانها ويحسبونه هذياناً فى هذيان !

وما يكادون يفرغون من نشيد طويل رائع حتى يحض البشير فيزف إليهم النبأ الصادق ويبشرهم بأوبة الملك ، ثم يص لهم شطراً مما لقيه الجنود تحت أسوار اليوم : « بل ما لق الطرواديون يومئذ من مصائب الحصار وكوارث القتال ، ثم ه الهزيمة التى أبادت دولتهم وقوضت بنيانهم ... »

بيد أنه سرعان ما يفطن البشير إلى تلك الكآبة التى تغش نفوس القوم ، فيسائلهم ، ويجيبه رئيس الخورس :

— « لقد كان الصمت . وسيظل ... ملاذنا أيها البشير ! »

— « وكيف ؟ أترهبون أحداً فى هـــذا القصر غ مولاكم ؟ »

— « ... ؟ ... ! ... »

— « أسرار ... أسرار ... »

— ١٣ —

وتقبل الملكة كرة ثانية فتلمح تلجلج مشاعر المنشدين وتحا أن تخدعهم عن خابية نفسها فتقول : « هل صدقتم الآن أن الب قد سقطت ؟ ! لقد كنتم فى ريبة من بشراى التى زففت إ لأنكم لم تروا أمامكم تلك الفتاة المزهوة التى تكاد تجن من الفر

(١) نأسف جدا لاضطرارنا إلى حذف الأناشيد برغم أهميتها مكتفين بما قدمنا للدرامة من شرح مسهب ، وذلك لأننا نحاول إعطاء القارئ صورة دقيقة قريبة بقدر المستطاع إلى الأصل على ألا تمل . وربما عرضنا للأناشيد فى بحث خاص

لهذا النصر المفاجئ الذي إنتظرناه طويلا ... بالسكم أيها الرجال !
وأنت أيها البشير ! أنرى إلى قربانى الجسد ذى الخوار الذى أعددته أضحية لما بشرتنا به ؟ ... وسترى كيف ينتشر البخور من مجامر الند ومخارق المنبر فيؤرج أجواء آرجوس تحية لملك . تعال ... تعال أيها البشير فقص علىّ كيف سقطت طروادة وكيف رغم أنف ملكها ! ... ولكن ... لا ... ليست لى بك حاجة ... اذهب ... فلن أسمع قصة ذلك إلا من رجلى ... أجاممنون ... ملك أرجوليس ومعقد آمالها ! ... أى فخار لامرأة أكبر من أن تستقبل فيض النور السماوى يتنزل عليها من العلو ... حين يعود إليها بعلها وعلى رأسه إكليل من غار النصر ؟ وأى فخار للرجل أكبر من أن يعود من حلبة الحرب فيجد زوجه وفية له كما تركها مخلصة كآخر عهده بها ! ؟ حريصة على أسراره ... قائمة على بيته . . . ساهرة على أبنائه ككلبه الأمين !! ماتزال تحمل ذكرى عناقه الأخير ، وتشدو آخر قبلاته كأحسن أغاريد الحياة ! بالفخر ... بالفخر ... »

وتخرج الملكة ... ولا ينطلى بما زخرفت من قول على أحد !

ـ « ها قد سمعت مقالة الملكة ، فلتكن أذناك ترجمانك الأمين ! ... ولكن ... حدثنا بأربابك عن أمير هذه البلاد المحبوب ، جليل المقام منالايوس ... هل قدم معكم فى أمان إلى أرض الوطن ! ...

ويربد وجه البشير ، ثم يمهد لحديثه بمقدمة مجلوة ، ويذكر كيف ثارت العاصفة فبعثرت الأسطول المنتصر ... » وفصلت سفائن منالايوس عن سائر الأسطول ، فلا يعلم أحد أين رست به إن كانت قد سلمت من غضبة البحر الذى طفق يتدجى فوقنا كأنه الليل ...

... ولم نصدق أننا نجونا من فورة هذا العباب حتى انبلج الصبح ، فصلينا للآلهة ، وشكرنا للسماء ... وابتهلنا الى الأرباب أن يحفظ منالايوس ، وأن يرده سالماً إلى أرض الوطن ... »

ويأخذ الخورس فى نشيد بعضه شدو وبعضه شجو ... وبعضه سخط على هيلين ... التى فاز بها من فاز بالحرب ... وتزوج منها من تزوج بالحرب ... والتى كانت على جميع من اتصل بها حرباً أى حرب ! »

— ١٥ —

وبينا المنشدون يتغنون بألحانهم ، إذا عربة مطهمة ، تجرها صافنات جياد ، تدخل فجأة فتكون تلقاء القوم ...

ويكون فى العربة أجاممنون الظافر المنتصر ، قاهر طروادة ! وإلى جانبه تلك النبية المباركة ... حبيبة الآلهة ... الفتاة العذراء .. كاسّندرا ابنة بريام العظيم ملك اليوم المقتول ... عاد بها أجاممنون من جملة السَّبى لتكون خليلة له ...

ويحيى الخورس مليكهم بلحن حلو من موسيقى السماء ، يبللونه بدموعهم ويصهرونه بحرارة قلوبهم ، فيشكر لهم ويثنى عليهم ، ويقول :

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

البريد الأدبي

حلم ليلة صيف

ظهرت أخيراً أول قطعة من مسرحيات شكسبير الخالدة على ستار السينما ؛ وهو بلا ريب حادث عظيم فى تاريخ الاخراج السينمائى ؛ وقد كان رأى النقدة والفنانين أن مسرحيات شكسبير إنما خلقت للمسرح ، ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل إخراجها بنجاح على ستار السينما ؛ ذلك أن مناظرها وخيالاتها لاتسمح رغم روعتها بذلك السبك الذى يطالب فى الشرائط المصورة ، ولأنها ترتفع أحياناً فوق الوسائل الفنية التى يسمح بها الاخراج السينمائى ؛ ولكن فناناً عظيما هو ماكس رينهارت رأى فى مسرحيات شكسبير رأياً آخر ، وجالت بذهنه فكرة جريئة هى الاقدام على إخراج بعض هذه القطع الخالدة على لوحة السينما ؛ وقد تم إخراج المسرحية الأولى وعرضها ، وهى « حلم ليلة صيف » ، وقد أتيح لنا أن نشهد هذا الشريط الرائع أخيراً فى احدى دور السينما بالقاهرة ، فألفينا فيه عبقرية المخرج العظيم تتجلى الى جانب عبقرية الشاعر الخالد ، ورأينا خيال الشاعر المبدع يبدو على صفحات الواقع المحسوس فى أروع ثوب ؛ ولم يحل دون تحقيق هذه الأمنية . أن القصة كلها أحلام فى أحلام ، وأن هذه الأحلام تبلغ ذروة الخيال المغرق ، وتفيض فى عالم الأرواح والأشباح والعالم الآخر

وسر هذا الابداع المدهش فى إخراج هذه القطعة الخالدة هو بلا ريب فى عبقرية المخرج ؛ والواقع أن ماكس رينهارت قد بلغ الذروة من قبل فى إخراج المسرحيات الخالدة : مسرحيات شكسبير ، وجيتى ، وشيللر ، ولسنج وغيرهم ، على المسرح ؛ وماكس رينهارت نمسوى يهودى ، ولد فى مدينة سالزبورج ، موطن الفن والموسيقى الخالدة ؛ وتلقى تربيته وخبرته الفنية فى مدينة فينا أعظم موطن للثقافة الفنية والموسيقية ، وظهر قبل الحرب بجهوده المسرحية فى أعظم مسارح فينا وبرلين ، ثم استقر فى برلين بعد ذلك ، وهنالك تبوأ ذروة الفن ، وأضحى مر المسرح فى ألمانيا وكوكبه الساطع ؛ ولكن حكومة هتلر جا منذ ثلاثة أعوام لتسحق العلوم والفنون والآداب فى ألمانيا ما وسمت من شهوات التعصب الجنسى والسياسى ، فلم يد الفنان العظيم – وهو يهودى غير مرغوب فيه – أن يعيش هذا الجو الكدر ، فغادر ألمانيا حيث سطع مجده ، ليعمل ح تزدهر الأفكار والحريات الفنية ؛ وطاف بفينا وباريس ول وغيرها ، ومر منذ شهر بمدينة سالزبورج مسقط رأسه ، ف فيها أعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، وأطلقت البلدية اسمه ع شارع من أشهر شوارعها

وفى « حلم ليلة صيف » تتجلى عبقرية شكسبير الرائعة مزج البكى بالمضحك ، وإبراز المفاجآت والمدهشات فى ثو يأخذ باللب ، ويذكى العواطف إلى الذروة ؛ ومع أن القطعة كانت فى بعض تفاصيلها مسهبة ، فان الموسيقى الرائعة ال اقترنت بمناظرها ، وهى من مقاطيع مندلزون وفاجنر ، كانت ترفع بجمالها وسحرها كل ميل الى السأم

والمفهوم أن ماكس رينهارت سيمضى فى إخراج قطع أخرى من مسرحيات شكسبير ؛ وربما رأينا قريباً هملت أو مكبث أو تاجر البندقية أو يوليوس قيصر أو غيرها من آثاره الخالد على مسرح السينما بفضل عبقرية ماكس رينهارت

بيير دى نولهاك

فى الأنباء البرقية الأخيرة أن الكاتب والمؤرخ الفرنسى الكبير بيير دى نولهاك قد توفى فى السادسة والسبعين من عمره . وكان دى نولهاك عضواً بارزاً من أعضاء تلك المدرسة التاريخية الباهرة التى استطاعت أن تجمع بين التحقيق التاريخى والعرض الساحر ، والتى تزعمها كتاب ومؤرخون ممتازون بالقوة والطرافة مثل فرانز فونك برنتانو ، ولينوتر ، ودى نولهاك ، وقد كان لهذه

المدرسة أكبر الفضل فى الكشف عن طائفة من الوثائق والمخطوطات الشهيرة ، ودرس دى نولهاك الفلسفة والأدب القديم ، وتفقه فى الدراسات اليونانية واللاتينية ، وعنى منذ فتوته بالتنقيب فى أقبية المكاتب العامة ؛ ودرس مدى حين فى مدرسة الآثار الفرنسية برومة ، وعثر فى مكتبة الفاتيكان على طائفة من الوثائق التاريخية النفيسة ، ونشر عن مباحثه عدة مؤلفات منها « مكتبة زعيم انسانى فى القرن السادس عشر » و « ثبت المخطوطات اليونانية لجان لسكاريس » و « مباحث عن رفيق بومبونيوس لاكتوس » وغيرها ، ووقع دى نولهاك أثناء هذه الفترة على نسخة خطية من كتاب « كانزونير » للشاعر الأشهر بترارك وبخطه أيضاً ، وقدمها لأكاديمية الآثار ، فكانت نقطة باهرة ؛ وأثار هذا الاكتشاف اهتمام دى نولهاك بدراسة بترارك ، فقدم عنه رسالته الشهيرة عنوان « بترارك والانسانية » فى سنة ١٨٩٢

والتحق دى نولهاك منذ سنة ١٨٨٦ بوظيفة فى المكتبة الأهلية ، وانتدب للتدريس فى نفس الوقت بمدرسة الدراسات العليا ؛ ثم عين بعد ذلك مديراً لها واستمر فى هذا المذهب حتى سنة ١٩٠٠ ، وعين أيضاً أميناً لمتحف فرساى واستمر فى هذا المنصب حقبة طويلة ؛ وفى أقبية المكتبة والمتحف بدأت مباحث دى نولهاك المؤرخ ، وهى مباحث دلت فيما بعد على أنه فى هذا الميدان عبقرية بارزة ، ووقع فى الأقبية على طائفة من الوثائق والمخطوطات التاريخية النادرة ، واستطاع أن يستخرج منها مادة بديعة لكتبه ، وأشهر مؤلفات دى نولهاك التاريخية : « فرساى فى القرن الثامن عشر » و « الملكة مارى انتوانيت » و « لويس الخامس عشر ومدام دى بومبادور » وغيرها ، وفيها تبدو عبقرية نولهاك كمؤرخ وكاتب ، ذلك أن حقائق التاريخ تعرض فيها فى أثواب ساحرة كأنها الخيال المرسل ، وتسطع فيها الصور حتى يخيل اليك أنها حية تغدو وتروح وكأنك تعيش معها وفى عصرها

وكتب دى نولهاك عدة كتب أخرى ارتفعت باسمه إلى مصاف أقطاب النقـــد والتفكير الفلسفى منها : « رونسار والانسانية » ، ومنها « قصائد ايطاليا وفرنسا » . وانتخب نولهاك عضواً بالأكاديمية الفرنسية وانتظم فى سلك الخالدين قبل وفاته بأعوام طويلة

كتاب عن ذكرى ابن ميمون

احتفلت الطوائف اليهودية فى مصر وفى سائر أنحاء العالم ، وكذلك احتفلت معظم الهيئات العلمية فى مختلف الأقطار بذكرى العلامة والفيلسوف والطبيب اليهودى العربى الأندلسى موسى ابن ميمون ، وكان الاحتفال فى ابريل من العام الماضى ، وذلك لمناسبة انقضاء ثمانمائة عام كاملة على مولد الطبيب الأشهر ؛ ولابن ميمون فى مصر ذكريات خاصة ، فقد كتب فيها معظم مؤلفاته ، وتوفى فيها ، وكان كبير الربانيين بالقاهرة ، وكان طبيبا للسلطان صلاح الدين الأيوبى ؛ وكان مولد ابن ميمون فى قرطبة فى ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ م ، فى عهد المرابطين ، ثم نزح مع أسرته إلى المغرب فالقاهرة حيث اتصل بالسلطان صلاح الدين وعينه طبيبه الخاص . وعكف ابن ميمون على دراسة التلمود وكل ما يتعلق بالعقائد والفلسفة اليهودية ، وألف فيها بالعربية ، ولكن بحروف عبرية ، طائفــة من الكتب الفلسفية والدينية ما زالت تتبوأ المقام الأول بين تراث اليهودية

وقد عنيت الحاخامية اليهودية بالأسكندرية باصدار مجلد ضخم عن هذا العيد الملى بالفرنسية بعنوان : « الذكرى المئوية الثامنة لابن ميمون » وضمنته ترجمة وافية للطبيب الفيلسوف ، وشرحاً قيما لأهم نظرياته ونصوصه ، وشذوراً من مصنفاته بالعربية والعبرية والفرنسية والايطالية ، وأشرف على وضعه وإخراجه الأستاذ دافيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالأسكندرية ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن لابن ميمون بين مفكرى اليهود وفلاسفتهم المقام الأول ، حتى لقد اعتبره بعضهم الرجل الثانى فى اليهودية بعد موسى . ولابن ميمون نظريات فلسفية ودينية عويصة ، وله شرح نفيس للتلمود ما زال هو الحجة فى موضوعه

القصة فى التعليم

فى وزارة المعارف اليوم حركة تجديد تسير إلى غايتها بنشاط وقوة ، تؤمل من ورائها انقلابا فى وسائلنا التعليمية يدنينا من الهدف الذى نقصد اليه من تعليم أبنائنا

وقد كان آخر هذه المحاولات ، هذا المشروع الذى أشارت اليه الصحف فى الأسبوع الماضى ، بأن الوزارة تفكر فى تدريس كثير من المواد بالمدارس الابتدائية عن طريق القصة . وهو

مشروع جدير بأن يثمر ثمرة طيبة لو حَسُنَتْ القوامة عليه؛ فما نعرف شيئاً يروق الصغار ويجذب انتباههم مثل القصة، وما نعرف باباً من أبواب الأدب يتسع لكل شيء كما تتسع القصة، فالقصة عند الطفل لون من ألوان اللعب يقبل عليه بشوق ولذة، ولكنه عند أهل التربية فن من فنونهم يبلغون به ما لا يبلغون بسواه من أساليب العلم

وإذا كان لنا أن نغتبط بهذا المشروع، فإننا نخشى أن تؤدى طريقة تنفيذه إلى ما لا نرجو من جدواه، فإن القصة فنٌّ واستعداد لا يتوفران لكل شخص، ولا يحسنهما إلا الموهوب؛ فلو أن وزارة المعارف وكلت أمر إنشاء هذه القصص إلى غير القادرين عليه لقضت على الفكرة بالموت قبل أن تظهر لها ثمرة؛ وفي وزارة المعارف رجال درسوا القصة وعالجوها فنجحوا فيما عالجوا إلى حد كبير، وإن لم يكونوا من رجال التعليم. وفي مختلف مدارس الوزارة مدرسون حاولوا القصة ووُفِّقوا في كثير مما حاولوا، فلعل الوزارة تنتفع برأى هؤلاء وهؤلاء

الإسلام في اليابان

كتبت مجلة (آسيا) في عددها الأخير أنه لن تنقضى أعوام حتى تصبح اليابان كلها إسلامية

وقد أشارت المجلة إلى الدعاية الإسلامية القائمة بين الشعب الياباني وقالت إن ٣٢ ألفاً من اليابانيين اعتنقوا الديانة الإسلامية منذ ثلاثة أعوام، وإن الإقبال على الإسلام لا يزال مستمراً

وقد تم إنشاء مسجد (باب الله) في الأسبوع الماضي واحتفل اليابانيون بافتتاحه احتفالاً عظيماً

ويتألف هذا المسجد من ثلاثة طوابق، ويمتاز بمآذنه الشاهقة المزدانة بأجمل النقوش كما يمتاز بأبهائه وحدائقه والنقوش العربية التي تزين جدرانه

وقد رأس حفلة الافتتاح ميناء عبد العزيز، وكان يرتدي العباءة والكوفية والعقال؛ وقد ألقى خطاباً شكر فيه لجنة المسجد ثم قال:

« إنه ليسرني أن أرأس هذه الحفلة في اليابان أمبراطورية الشرق الكبرى، وأعتقد أن « باب الله » سيجد كثيراً من اليابانيين الذين يرغبون في دخوله . . »

وبعد أن أشار الخطيب إلى موقف الحكومة اليابانية من الديانة الإسلامية وتنشيط القائمين بالدعوة إليها شرح للحاضرين التعاليم الإسلامية ومبادىء المسلمين السامية وقال:

« إن الديانة الإسلامية التي أجمع العالم على أنها أفضل الديانات لا بد أن تنتشر في جميع أنحاء العالم وخاصة في اليابان، ولا بد تجد من الأنصار ما يجعلها سيدة العالم »

وأشار الخطيب إلى إعجاب العرب المسلمين بالشعب الياباني وقال إن اليابان تسير في طريق الأمبراطورية الآسيوية الكبرى وإن الإسلام سيكون في أول هذا الطريق

من أعاجيب الراديو

أضحى « الراديو » أعجوبة الأعاجيب في عصرنا، يستعمل كل ما لا يمكن أن يخطر في البال من عظائم الأمور وصغائرها وسنرى في الأعوام القادمة إلى أي حد يمكن أن تقف أعاجيب هذا الاختراع المدهش؛ ومما قرأناه أخيراً في صحف فيينا أن الراد[يو] كان وسيلة مدهشة لنجاة مريض من تناول دواء خاطىء؛ فق[د] وفد مريض على صيدلى وقدم إليه تذكرة دوائه ليعدها، [ف]أخذ المريض الدواء وانصرف، وبعد قليل تذكر الصيدلى أ[نه] ارتكب في صنع الدواء خطأ قد يودى بحياة المريض، ولم يك[ن] يعرف عن المريض أو اسمه أو طبيبه شيئاً؛ فهرع إلى شر[كة] للإذاعة اللاسلكية، وفي الحال أذاعت الشركة خلال برنامج[ها] نبأ هذا الخطأ في جميع أرجاء النمسا؛ ووقف الطبيب الم[عالج] مصادفة على هذا النبأ حين كان يستمع إلى الإذاعة، فهرول إ[لى] المريض في منزله ولحق به قبل أن يتناول الدواء القاتل

الكتب

«محمـــد»

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

عملُ الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب أشبهُ شيء بعمل «كريستوف كولمب» في الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا ؛ لم يخلق وجودها ولكنه أوجدها في التاريخ البشري ، وذهب إليها فقيل جاء بها إلى العالم ، وكانت معجزته أنه رآها بالدين التي في عقله ، ثم وضع بينه وبينها الصبرَ والمعاناةَ والحذق والعلم حتى انتهى إليها حقيقة ماثلة

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناولها من كتب التاريخ والطبقات والحديث والشمائل ، بقريحة غير قريحة المؤرخ ، وفكرة غير فكرة الفقيه ، وطريقة غير طريقة المحدِّث ، وخيال غير خيال القاصّ ، وعقل غير عقل الزندقة ، وطبيعة غير طبيعة الرأي ، وقصد غير قصد الجدَل ؛ فخلص له الفن الجميل الذي فيها إذ قرأها بقريحته الفنية المشبوبة ، وأمرَّها على إحساسه الشاعر المتوثب ، واستلَّها من التاريخ بهذه القريحة وهذا الإحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهةً إلى غرضها الإلٓهي محققةً عجائبها الروحانية المعجزة

وقد أمدته السيرة بكل ما أراد ، وتطاوعت له على ما اشتهى ، ولانت في يده كما يلين الذهب في يد صائغه ؛ فجاء بها من جوهرها وطبيعتها ليس له فيها خيال ولا رأي ولا تعبير ، وجاءت مع ذلك في تصنيفه حافلة بأبدع الخيال ، وأسمى الرأي ، وأبلغ العبارة ؛ إذ أدرك بنظرته الفنية تلك الأحوال النفسية البليغة ، فنظمها على قانونها في الحياة ، وجمع حوادثها المدوَّنة فصوّرها في هيئة وقوعها كما وقعت ، واستخرج القصص المرسَلَة فأدارها حواراً كما جاءت في ألسنة أهلها ؛ وبهذه الطريقة أعاد التاريخ حياً يتكلم وفيه الفكرة وملائكتُها وشياطينُها ، وكشف ذلك الجمال الروحاني فكان هو الفن ، وجلا تلك النفوس العالية فكانت هي الفلسفة ، وأبقى على تلك البلاغة فكانت هي البيان . كانت السيرة كاللؤلؤة في الصدفة ، فاستخرجها لجمالها اللؤلؤة وحدها

* * *

إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة ، فليس يمكن أن يقال إنه لا ضرورة لوجوده ، إذ هو الضروريُّ من السيرة في زمننا هذا ، ولا يُشْمَئَزُّ فيه أنه تحريف وتزوير وتلفيق ، إذ ليس فيه حرف من ذلك ؛ ولا يردُّ بأنه آراء يخطئ المخطئ منها ويصيب المصيب ، إذ هو على نص التاريخ كما حفظته الأسانيد ؛ ولا يُرمى بالغثاثة والركاكة وضعف النسق ، إذ هو فصاحة العرب الفصحاء الخُلَّص كما رُويت بألفاظها ؛ فقد حصنه المؤلف تحصيناً لا يُقتحم ، وكان في عمله مخلصاً أتم الإخلاص ، أميناً بأوفى الأمانة ، دقيقاً كل الدقة ، حَذِراً بغاية الحذر

ومن فوائد هذه الطريقة أنها هيأت السيرة للترجمة إلى اللغات الأخرى في شكل من أحسن أشكالها برغم هذا الزمن على أن يقرأ بالإعجاب تلك الحكاية المنفردة في التاريخ الإنساني ؛ كما أنها قرّبت وسهلت لجمات السيرة في نصها العربي كتاباً مدرسياً بليغاً بلاغة القلب واللسان ، مربياً للروح ، مرهفاً للذوق ، مصححاً للملكة البيانية

وحسبُ المؤلف أن يقال بعد اليوم في تاريخ الأدب العربي : إن ابن هشام كان أول من هذّب السيرة تهذيباً تاريخياً على نظم التاريخ ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هذبها تهذيباً فنياً على نسق الفن

مصطفى صادق الرافعي

١ — علم تكوين الجنين (طبع دمشق)
للدكتور شوكت موفق الشطى

٢ — دليل الحج والسياحة (طبع الرباط)
للأستاذ أحمد الهوارى

للأستاذ محمد بك كرد على

— ١ —

أصدر الدكتور الشطى فى دمشق الجزء الأول من هذا الكتاب ، وهو « يبحث فى التناسل والجهاز التناسلى فى الذكور والأناث ، والالقاح والذكورة والانوثة والوراثة » ، وقد تقدم للمؤلف أن نشر كثيراً من الأبحاث الطبية فى كتب ورسائل ومقالات . والذى يعنينا هنا أن نقوله إن هذا الكتاب وبعض الكتب الطبية والعلمية التى ظهرت فى العهد الحديث فى جمهورية سورية تدل على اضطلاع المؤلفين الجدد بعلمهم ، مضافاً اليه تمكنهم من العربية . وقد رأينا مصنف هذا الكتاب المفيد يضع ألفاظاً لبعض الكلمات الطبية والعلمية ، هذا إلى ما فى مجموع كلامه من الرشاقة والجزالة . أما البحث فى موضوع الكتاب ودرجته من العلم فهو من شأن الأطباء

— ٢ —

جاءت رحلة الأستاذ الهوارى الفاسى من المغرب الأقصى إلى الديار الحجازية المباركة فى ٣١٠ صفحات محلاة بالرسوم البديعة . وقد قال فى وصف كاتبها الأستاذ السيد عبد الحى الكتانى عالم فاس إنه رحل « ونقب ، وسأل وكتب ، وجمع وحطب ، وإن كانت وجهة قلمه غلبت عليها نشوة الوظيف والاحتفال بالموظفين ، والادارات والمديرين ، ولكن إذا عُلم أنه يكتب لأبناء هذا العصر زال العجب » . ووصفه بأنه « صاحب القلمين واللسانين » ، يعنى العربية والفرنسية . وقد أورد الأستاذ الكتانى ثبتاً بديعاً بأسماء من رحلوا من القديم إلى اليوم ، إلى الحجاز من بلاد المغرب والأندلس ، ودل على أماكنها ، ومنها المخطوط المحفوظ فى الخزانة الكتانية بفاس . ولاحظنا أن المؤلف عنى عناية خاصة بذكر أصحاب القبور أكثر من التنويه بأعمال الاحياء فى مصر والشام . والقبور يظفرون متى شاءوا بما يحبون من الزيارات فى كل بلد من بلاد الاسلام ، ولكن ما يحفظ على هذه الأمة دينها ودن[ياها] هو اليوم الاستمداد من الأحياء ، ولذا كان على المؤلف ينوه بما يجب أن يقتبسه بنو قومه من جلائل أعمال ا[لأحياء] فى البلاد التى زارها . وقد قدم صاحب الجلالة سيدى [محمد] سلطان المغرب الأقصى تقريظاً للكتاب على سبيل التنشيط وعبارة المؤلف تدل على أنه عانى صناعة الكتابة فى بلاد[ه] بيد أنه جرى فى تدوين رحلته على ما يرضى العامة وأرب[اب] السلطان ......

محمد كرد على